أطفالنا واللغات الأجنبية

أسامة عبد الرحمن

ماذلت لغة شعب إلا ذل ولا انحطت إلا كان أمره إلى ذهاب وإدبار ومن هنا يفرض المحتل الأجنبى على الأمة التى يحتلها لغته ويركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها ويستلحقهم من ناحيتها فيحكم عليهم ثلاثة أحكام فى عمل واحد : اما الأول فالحكم بحبس لغتهم فى لغته سجناً مؤبداً وأما الثانى فالحكم بالقتل على ماضيهم محواً ونسياناً وأما الثالث فتقييد مستقبلهم فى الأغلال التى يصنعها لهم فأمرهم من بعدها لأمره تبع ٠

مصطفى صادق الرافعى

مقدمة

لقد فرض الاحتلال نفوذه على الوطن العربي وامتدت يده إلى اللغة العربية بوصفها عاملاً من عوامل الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية، وحاول إحلال اللغة الأجنبية محلها، لكنها لم تفقد الغيورين عليها من أبنائها وتحصنت في معاقل منيعة مثل الأزهر والزيتونة والقَرويين وغيرها، وظلت حية في نفوس بنيها محفوظة بالأصلين العظيمين القرآن الكريم والحديث الشريف، وعندما كشف الله الغمة وأزاح المحتل عن الديار وخرجت العربية من معاقلها لتنتشر وجدت المناخ قد تأثر تأثرًا متفاوتًا حسب قوة السيطرة الأجنبية وضعفها، نجد دولاً عربية وجود العربية ضعيف فيها، لكنه وجود يعتمد على خلفية دينية وتراث قوي، تعززه إرادة الدولة شعبًا وقادة، ونجد دولاً أخرى للعربية وجود كامل فيها تقريبًا عدا نظام التعليم في الجامعة وما قبلها، لا سيما في التعليم العلمي والمهني، كما نجد دولاً أخرى للعربية وجود كامل فيها عدا كثير من الكليات العلمية والمعاهد الفنية ومراكز البحث العلمي والدراسات العليا التي اعتمدت اللغة الأجنبية أداة للتعليم فيها.

معنى هذا أن اللسان العربي تأثر نوعًا ما باللغات الأجنبية على المستويين الاجتماعي والعلمي ومن مظاهر هذا التأثر، مزاحمة اللغات الأجنبية للعربية وشيوع ألفاظ أعجمية على ألسنة أبنائها، ومن مظاهر هذه المزاحمة كتابة كثير من اللافتات باللغة الأجنبية على المحال والمؤسسات التجارية والفنادق والمطاعم،ومن الألفاظ التي تصك أعيننا صباح مساء:صالون، بوتيك، استوديو، بازار، ماركت،سوبر ماركت، ماركة، كافتيريا،إلى آخره وهذه الألفاظ المستعارة مكتوبة للأسف بالعربية،وهناك لافتات أخرى ترجمت عناوينها للإنجليزية وكتبت الترجمة بأحرف لاتينية تارة،وبالعربية تارة أخرى، وهذه اللافتات موجودة في ديار العرب وعواصمهم وتتفاوت كثرة ،وقلة وقيام كثير من المربيات الأجنبيات بتربية الطفل العربي، خاصة في دول الخليج ، فهل ننتظر بعد ذلك سلامة وبقاء لغتنا العربية؟! .

والأدهى والأمر ظهور تعليم اللغات الأجنبية فى مراحل التعليم المبكرة كما فى مصر حيث تعلم أبنائنا اللغات الأجنبية منذ نعومة أظفارهم قبل تعلمهم لغتهم الأصلية .....عفوا سوف أكتفى بهذا ففى حلقى غصة وطعم المرارة من العجب العجاب الذى أعايشه وأنا من أمة القرآن .

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

أهداف التعليم وأهميته ودوافعه

☆☆☆

الأهداف العامة للتعليم فى الوطن العربى:

إن ثاني أهم التشريعات التي تتضمن تحديد هوية الدولة والأمة،وتسعى لتفعيلها هي: تشريعات التربية والتعليم فهي الوسيلة الأولى لتحقيق الفلسفة العامة للدولة والتعليم أول حق من حقوق الانسان، وهوالقاعدة الصلبة التي تبني عليها الأمم مشروعاتها، وتحقق من خلاله مستقبلها الذي تنشده يتم به تحقيق أهداف متعددة:أولها تنيمة مكونات الهوية الثقافية الوطنية والعربية، وغرس القيم الدينية والخلقية، والعلمية وقد وضعت كل الدول العربية رؤيتها العامة، ضمن أهداف التعليم في كل مراحله وعلى الرغم من أهمية التربية والتعليم في تعزيز الهوية العربية للطفل العربي؛ إلا أن تأثيرها لا يبدو فى المستوى المطلوب منها،وقد يرجع إلى إثقال كاهلها بالعلوم والمعارف المختلفة، وعلينا أن نبذل جهوداً أكبر لترسيخ الهوية العربية من خلال التربية والتعليم؛ لكونها هي المؤسسة التي لم تطلها اختراقات الثقافات الأخرى حتى الآن؛ نتيجة للأشراف المباشر من قبل الحكومات العربية.

يؤدي التعليم دوراً هاماً في التنشئة الاجتماعية والسياسية؛ لأنه عملية تخضع للتوجيه من جانب الجماعة، لأن هذه الجماعة تحرص على تربية أبنائها لكي يصبحوا مواطنين عاملين فيها، وفقاً لأهداف الجماعة وفلسفتها، وهذا ما يسهم بالتالي في تشكيل هوية الطفل.

أهمية اللغة العربية فى المحافظة على الهوية

تلعب اللغات الراقِيَة لدى أبنائِها المُنتَسِبين إليها دورًا يَتجاوَز مجرَّد مهمَّة التوصِيل،وقضاء الحاجات اليوميَّة، مع التسليم بأهميَّة هذه الأشياء في حياة البشر فالحياة يُمكِن لها أن تتحقَّق ويتمَّ التواصُل بين أطرافها من خلال الوسائل غير اللغوية؛مثل الإرشادات والرُّموز البسيطة، وصَيْحات الإعلان عن الحاجة أو القَناعة أو السخط والرضا،وهو ما نلحظه على نِطاق واسِع، في عالم الطيور والحيوان من حولنا، وفي مراحل الطُّفولة المبكِّرة ، وعند ذوي الحواسِّ المُعَطَّلة الذين لا يُكَلِّمون الناس إلا رمزًا،ومع ذلك تَسِير حياتهم ويُعَبِّرون عن رغباتهم دون أن يَندَرِجوا في مَراحِل التعبير المُتَفاوِتة وتمتدَّ إلى داخِل اللغة العربية ذاتها؛ فظهرتْ صَيْحات منذ أوائل القرن العشرين، تدعونا إلى أن نكتب نحن أيضًا لغتنا العربية بحروف لاتينية؛ بدعوى تسهيل تداوُلها في العالم، وما زلنا نرى زحْف الحروف اللاتينية على واجِهات المحلاَّت في كثيرٍ من مُدُن العالم العربي؛ ممَّا يُشَكِّل ظاهرة سلبيَّة لا تَلِيق بأمَّة تحرص على أن تكون لها شخصيتها وهُويَّتها المستقلَّة.

ونحن ينبغي في الوقت نفسِه أن نُشِيد بالتجارِب العالمية المُعاصِرة، التي أدركت أهميَّة اللغة في المحافظة على شخصيَّة الأمَّة،أو اتَّخذت خطوات إيجابيَّة في سبيل المحافَظة على قوَّة لغتها، أو إحيائها وتوظيفها بقوَّة في الحياة العلمية والعملية؛ ممَّا ترتَّب عليه إحياء شخصيَّة الأمَّة والمحافظة على قوَّتها، وفي هذا الصَّدَدِ نقتَبِس قول شاعر صَقَلية أجنازيا بوتينا حين يقول: إن الشعب يفتقر ويُستعبَد عندما يُسلَب اللسان الذي ترَكَه له الأجداد وعندئذٍ يضيع للأبد.

وترجع أهمية اللغة العربية لضرورتها فى فهم الإسلام فاللغة هي الوسيلة الأولى للتخاطب بين الناس وأهمّ أداةٍ من أدوات التفكير وهي وعاء العلم والمعرفة، تحفظُها الكتابةُ من الضياع وهذه الأمور الثلاثة تكاد لوضوحها أن تكون من البديهيات،لكن الناسَ في حياتهم العملية لم يعطوها ما تستحقُّه من الاهتمام ومع أنها مشتركة بين اللغة العربية وسواها، إلا أن العربية تتميز عن غيرها بأنها لغة الدين الإسلامي، فالقرآن الكريم نزل باللغة العربية والآيات التى تثبت ذلك عديدة والرسول ﷺ خاطب قومه العرب بلسانهم وهكذا فالأساسين الأوَّلين لهذا الدين القرآنَ والسنة باللغة العربية،ولا يمكن فهمُهما، ومعرفةُ أسرارهما، واستنباطُ الأحكام منهما لغير المتمكّن من هذه اللغة المباركة وقد أدرك الأئمةُ الأقدمون أهمية اللغة العربية في فهم كلام الله سبحانه وكلامِ رسوله ص فهذا الإمام الشافعي يقول عنه زوجُ ابنته: أقام الشافعي علمَ العربية وأيامَ الناس يتعلمهماعشرين سنة[1]،

ـ ١] الفقيه والمتفقه؛ الخطيب البغدادي: ٤١/٢

فقلنا له في هذا، فقال: ما أردت بهذا إلا استعانةً على الفقه ؛ أي: ظلّ عشرين سنة يتبحّر في اللغة العربية وعلومها ليفقه ويفهمَ القرآن والسنة، ولا يستغرب منه هذا، فهو الذي يقول: أصحاب العربية جِنُّ الإنس، يُبصرون ما لم يبصرْ غيرُهم وكان علماء الدين يقولون: من تكلّم في الفقه بغير لغةٍ تكلم بلسان قصير! وكانت في الجيل الأول، جيل الصحابة ملكةً وسليقة، ثم لما انتشر الإسلام في شتَّى البلاد، واختلط العرب بالمسلمين الجدد بالمصاهرة والمعاملة، والتجارة والتعليم ،ودخلت في لسانهم العجمةُ وبدأ الخطأ في الكلام، فخفضوا المرفوعَ، ورفعوا المنصوب، وما إلى ذلك.

وقد بدأ هذا اللحن في وقتٍ مبكر جدًّا، إذ يُروى أن عليًّا هو الذي وجَّه أبا الأسود الدؤلي إلى أن يضع أصولَ علم النحو حفظًا على اللغة العربية من الضياع فكيف الحال في زماننا، بعد مضي أكثر من أربعة عشر قرنًا؟ ومن العلوم المهمة جدًّا في فَهم كلام الله سبحانه وكلام رسوله ص بعد علوم العربية علم أصول الفقه الذي يُحدِّد قواعد استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية في القرآن والسنة، وهو أيضًا بحر لا ساحل له، وقد كُتِبَ باللغة العربية ونَقْلُهُ إلى لغة أخرى يُخِلُّ بالكثير من مقاصده، وهو إحدى الأدوات المهمة لمن يريد الاجتهاد في الدين وغني عن البيان أننا عندما نتكلم عن اللغة العربية، فإننا نعني: اللغة الفصحى، لا اللهجاتِ المحلية العامية التي ابتعدتْ عن أصلها، وتباينت فيما بينها تباينًا كبيرًا، جعل العربي المشرقي لا يكاد يفهم شيئًا مِن عامية العربي المغربي، وبالعكس .

أهمية اللغة العربية الفصحى

تعتبر اللغة العربية الفصحى بالنسبة للأمة العربية أهم من أية لغة أخرى بالنسبة للأمة التي تتكلم بها ، ويرجع ذلك لتفرد اللغة العربية بعدد من السمات والملامح لاتتوافر فى اللغات الأخرى فهي لغة القرآن ولغة قومية جمعت العرب من قديم في وحدة لغوية متماسكة على الرغم من تعدد اللهجات المحلية ولغة تراث بمعنى أنها كانت ومازالت الوعاء الذي حفظ التراث العربي والإسلامي ، وصانه من الضياع ، يستوي في ذلك العلوم الإنسانية والتجريبية ، إنها حفظت من الضياع كثيرا من شرائح التراث اليوناني الذى ترجم إلى اللغة العربية ، وضاعت أصوله اليونانية ، فترجمه علماء اليونان بعد ذلك من العربية إلى اليونانية وفى اللغة العربية من الملامح والخصائص ما لايتوافر في كثير من اللغات الأخرى على سبيل التمثيل : حروف العطف ،اختلاف صور الفعل باختلاف المسند إليه ، خصوصا فعل الأمر ، قضية الترادف ، وزيادة الوصف الخ .

ومحاولات هدم العربية الفصحى ارتبط أغلبها بحركات التنصير والإستشراق،وتولي كبرها كثير من العلمانيين الذين ساروا على درب المنصرين والمستشرقين بالوعي أو باللاوعي ، ومن هذه المحاولات التي نجح بعضها ، وباء بعضها الآخر بالإخفاق زرع اللغات الأجنبية والإنجليزية خاصة ومزاحمتها للغة العربية الأم ، حتى انفردت دون العربية بالتدريس ، كما نرى في كليات الطب ، والهندسة بجمهورية مصر العربية والانتصار للعاميات بإنشاء معاهد وأقسام مستقلة لما يسمي بالأدب الشعبي ومحاولة الهدم بدعوى تسهيل اللغة العربية ، وقد أخذت هذه الدعوى أو هذا الادعاء صورتين :

الأولى : المناداة بإلغاء الإعراب ، وتسكين أواخر الكلمات .

الثانية : اختصار حروف الأبجدية (بمعنى أن يكون للحرف صورة واحدة في الكلمة سواء أكان موقعه في أولها أو وسطها أو نهايتها).

٤- تغليب العامية في وسائل الإعلام ، والأداء في التدريس.

نشأة المدارس الأجنبية

في عام ١٨٦٣م اقترح المنصِّر هاملين على صديقه روتشيلد اليهودي إنشاء مدرسة ثانوية بجوار قلعة الروملي قائلاً: لقد أنشأ الأتراك حصناً لفتح إسطنبول، وأنا سأنشئ هنا مدرسة لهدمهم هذه العبارة على ايجازها تلخص لنا الدور الخطير الذي لعبته المدرسة الأجنبية في تفكيك العالم الإسلامي وتفتيته؛ لقد مكر أهل الكتاب مكر الليل والنهار لرد المسلمين عن دينهم تارة بحروب صليبية وتارة بتدبير المكائد الداخلية، وفي كل مرة كان العالم الإسلامي يهب هبته ينفض عنه مكر أهل الكتاب، وفي كل مرة كان الغرب يبحث عن لبنة سنمَّار حتى ظفر بها أخيراً؛ إنه حبل التلقي الموصول بالله عبر المسجد والمدرسة والأم فلتكن المعركة في هذه الساحة لا بهدمها كما صنع بونابرت إنما بتفريغها من محتواها أولاً وتبديله بمحتوى مخالف أياً كان هذا المحتوى ليفعل فعل السرطان في الجسد عندما تتغير كيمياء خلية واحدة.

لكن كانت أول شرارة قدحت في افتتاح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات في الإمبراطورية العثمانية سنة ١٨٣٠م، لأن البنات سيكنّ أمهات فإذا تربيتهن في هذه المدارس ذات الثقافة المختلفة قد يؤثر ذلك على أولادهن، وفي مصر عام ١٨٤٠م من خلال بعثات التنصير قاموا بتأسيس الكلية الفرنسية بالإسكندرية والجمعية الإنجيلية البروتستانتية، ثم تبعتها مدارس آباؤهم اليسوعيين عام ١٨٨٠م كمقدمة لاحتلال مصر عام ١٨٨٢م

وبلغ مجموع الطلاب من المسلمين ٧١١٧ طالبًا مسلمًا حتى عام ١٨٩١م وكان انتشار المدارس الأجنبية فيها مكثفًا حتى أنها الآن تبلغ عشرات الآلاف من المدارس ويبلغ نسبة الدارسين فيها من المسلمين ٥٢% من الطلاب فى مصر ويذكر مؤرخوا المدارس الأجنبية أن الجالية اليونانية كلما حلوا في بلد أنشئوا فيه كنيسة ومدرسة كما فعلوا في الإسكندرية عام ١٨٤٣م ثم في المنصورة، وطنطا، وبورسعيد ، والسويس، والقاهرة وغيرها، ثم تطور بهم الحال إلى إنشاء كليات للتعليم العالي، وكان أولها في بيروت سنة ١٨٦٢م وتحولت فيما بعد باسم الكلية السورية الإنجيلية ثم هي اليوم (الجامعة الأمريكية في بيروت)، ثم في القاهرة الآن باسم الجامعة الأمريكية وفي جبال النوبة استولت الإرساليات البريطانية على التعليم فيها منذ عام ١٩١٩م وحاصرت توسع الإسلام واللغة العربيــة، وأقفلت ما يفتح مــن المدارس الإسـلامية عام ١٩٣١م وفي العراق في أوائل القرن العشرين كانت أول مدرسة في البصرة مدرسة للبنات، ثم انتشرت مدارسهم في أنحاءه وهذا ما جرى عليه الحال في سائر بلاد الإسلام وكان جل اهتمام التنصير منصبًّا على مصر وباكستان تحديداً؛ لذا نالا قسطاً أكبر من الغزو عموماً ومن خلال التعليم على وجه الخصوص يقول ستيف نيل مؤرخ الكنيسة في العالم الإسلامي دولتان تمثلان أكبر أهمية بالنسبة للتنصير، هما باكستان ومصر، وسقوط إحداهما في قبضتنا يعني إزالة أكبر عقبتين من طريق الكنيسة والأمر لا يتوقف عند مصر أو باكستان أو بلاد الشام، إنما زحف نحو جميع البلاد في غفلة من المسلمين وتشير الأرقام إلى وجود ٢٦٤ مدرسة تنصير في ماليزيا، وفي قطر هناك أكثر من ٣٠ مدرسة، وفي مدينة مقديشو وحدها أكثر من ثلاثين مدرسة صليبية وطبقاً لإحصائيات عام ١٩٩١م توجد ١٦٥٠٠ مدرسة نصرانية في أفريقيا وحدها .

ومن خلال هذا الجهد المكثف نجح التعليم الأجنبي بمدارسه وجامعاته في تخريج أجيال عملت على خدمة مصالح الغرب على تفاوت فيما بينها؛ فقد تخرج فيها كثير من القيادات القومية الفكرية والسياسية من بين المسلمين والنصارى دون فرق إلى حد بعيد في كل من مصر ولبنان وفلسطين والأردن وسوريا والعراق والسودان، ومن أبرزهم: ميشيل عفلق، وجورج حبش، وقسطنطين زريق، وأنطون سعادة، ولويس عوض وغيرهم، وكان من عملاء هؤلاء المنصرين في تركيا الجنرال أحمد وفيق باشا الذي وفر أرضاً للمدرسة؛ لذا لما سئل السلطان عبد الحميد الثاني عن المكان الذي سيدفن فيه الجنرال، قال: في قلعة الروملي؛ ليستمع الرجل الذي باع للبروتستانت أرضاً ليؤسسوا عليها أجراسهم،أصوات هذه الأجراس إلى يوم القيامة وقد أولت الدول المستعمرة خلال فترة ما بين الحربين اهتماماً شديداً بتثقيف أبناء الأمراء والعظماء وكبار رجال السياسة، ونقلهم إلى التعليم في المعاهد الأجنبية؛ لإعداد هذه الطبقة، وقد كان إغراؤهم عجيباً لكثير من أصحاب المراكز العلمية حتى بعض كبار المسؤولين في مجال الإسلام على تعليم أبنائهم وبناتهم، وقد أشارت تقاريرهم إلى ذلك بما أسمته: نزوع الطبقة الراقية إلى المدارس الأجنبية.

دوافع تعلم اللغة الثانية أو الأجنبية

للدوافع تأثير كبيرفي تعلم اللغة الثانية وفقدان الدوافع يؤدي إلى الفشل في تعلم اللغة وهناك نوعان من الدوافع الغرضية وهي الدوافع التي تحرك دارس اللغة الثانية إلى تحقيق أهداف وحاجات قصيرة المدى مثل شغل وظيفة أو السياحة الخ والدوافع التكاملية وهي الدوافع التي تحرك دارس اللغة الثانية إلى تحقيق أهداف وحاجات بعيدة المدى مثل الاتصال بمتحدثي هذه اللغة يمارس لغتهم ويفهم تقاليدهم ويعيش ثقافتهم.

وباستقراء الموقف غير العاديّ المشوب بالسّلبيّة لأغلب العرب من اللّغة العربيّة نجده وليد الاحتلال الّذي بذل جهوداً كبيرة في نشر لغته في المجتمعاتّ العَربية لإحلالها محلّ اللّغة العربيّة قدر استطاعته، ممّا ساعد فى غرس حالة الاغتراب في العرب إزاء لغتهم العربيّة من جهة، ومن جهة أخرى بثّ موقف التّحقير إزاءها، وبثّ مركّب النّقص بينهم تجاه استعمال العربيّة أو الدّفاع عنها وهناك مؤشّرات عديدة أنّ القيادات السّياسيّة لعقود ما بعد التحرر العربى من الاحتلال كانت ترحّب باستمرار ببقاء إرث الاحتلال في المجتمع العربىّ أي أنّ تلك القيادة لا تكاد تعتبر ذاك الإرث اللّغويّ الثّقافيّ معلما من معالم الاحتلال والغريب ان هذا مستمر حتى لحظة كتابة هذه السطور خاصة فى سوريا حيث من المقرر ان يتم تدريس اللغة الروسية فى المدارس السورية اعتباراً من عام ٢٠١٦ إكراماً للتعاون السورى الاسدى فى محاولة القضاء على معارضي بشار الأسد الذى دخل عامه الرابع.

المؤامرة على اللغة العربية

تصاعدت خلال الفترة الأخيرة دعوات لحماية اللغة العربية من موجة مد التغريب الرهيب التي يعانيها العالم العربي خلال السنوات الأخيرة نتيجة توسع الدول العربية في السماح لجهات غربية بإنشاء مؤسسات تعليمية بدءاً من مرحلة الروضة إلى مرحلة الجامعة، بعد سنوات كانت المراحل الابتدائية في التعليم حكراً على مؤسسات تعليمية وطنية حفاظاً على الهوية العربية والإسلامية لكن يبدو أن ضغوط الدول الغربية لاختراق مؤسسات التعليم العربية بكافة السبل قد أعجزت أنظمتنا عن اتخاذ مواقف تحمي بها أجيالها الصاعدة من هذا المد الجارف ومن التحول لمسخ مشوه لا يستطيع مواجهة حملات الغزو الثقافي، بل تغري هذه الأجيال بالتحول لعرّابين لهذا الفكر.

في هذا الإطار حذر مجموعة أساتذة متخصصين وخبراء عرب، من طغيان الاهتمام باللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية، وشدّدوا على خطورة تأثير الخدم والمربّيات والسائقين الأجانب في البيوت العربية والخليجية، وتعلم الأطفال لغات غير لغة وطنهم، مؤكدين أنّ اللغة العربية جزء أساسي من هويتنا وشخصيتنا الإسلامية والقومية، ومطالبين بالاهتمام بها، وأن نعطيها الاهتمام اللائق بها، وعدوا ذلك الاهتمام واجبًا على العرب والمسلمين، ولا يجوز التقصير فيه.

<u>التعليم الأجنبي؛ ومصير اللغة العربية!</u>

لماذا يدفع أولياء الأمور للمدارس الخاصة أضعاف رسوم التقديم للالتحاق بالمدارس الحكومية دون شكوى؟ في تحليل بسيط لأسباب تلك الظاهرة؛ وهي (عُزوف أولياء الأمور المقتدرين مالياً عن التقديم لأبنائهم في المدارس الحكومية نجد أن الأسباب وراء تلك الظاهرة كثيرة ومنها مستوى تعليمي مرتفع – إشراف غير حكومي على إدارة المدرسة مما يدفعها للتحرر من قيود الروتين الحكومي الذي يعطل، ويؤخر الكثير من تحديثات وتطوير المنظومة التعليمية وتقدمها – توفير وسائل تكنولوجية حديثة تجد أغلب المدارس الحكومية تفتقر إلى اقتناء أبسط الأجهزة التكنولوجية لمواكبة تطورات العصر الحديث – غالباً ما تكون هيئة التدريس على قدر عالي من الاحترافية وعلى وعي ودراية تامة بما تطلبه كل مرحلة عمرية من المراحل المختلفة التي يمر بها الطالب – بالإضافة إلى تعلم اللغات الأجنبية سواء كانت اللغة الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية – الإيطالية – ... بالإضافة إلى مزايا أخرى لا تتوفر في التعليم الحكومي عامة، والمدارس الحكومية خاصة وعند النظر إلى أهمية دراسة اللغات الأجنبية نجدها بالغة الأهمية، خصوصاً في الوقت الحالي لكن المشكلة هنا أن يأتي تعليم هذه اللغات الأجنبية على حساب لغتنا الأم اللغة العربية لكنك تجد النظر إليها يكون من جانب أخر لا حساب فيه للهوية العربية، ولا غيره فقط هو أن سوق العمل يتطلب مهارات لغوية محدده، وأن صاحب اللغتين يُميَز عن صاحب اللغة الواحدة، وهكذا .

حتى أنك كثيراً ما تجد العبارة الشهيرة عند قراءتك لإعلانات التوظيف وشروطها تجد أهم عبارة هي يجيد اللغة الإنجليزية هذا بالنسبة للتعليم الأساسي ومدى تأثر الطلاب في تلك المراحل عندما تكون لغة أجنبية هي اللغة الأساسية في دراسته على حساب لغته الأصلية وإذا انتقلنا إلى مرحلة التعليم الجامعي فإنك تجد داخل التعليم الحكومي نفسه ما يماثل تماماً ما يحدث داخل المدارس الأجنبية، لكنه بطريقة أخرى ربما تكون أكثر ذكاءً من المدارس الأجنبية لأن في التعليم الجامعي تكون هذه الطريقة تحت مظلة التعليم الحكومي وليس التعليم الخاص بمعنى أن هناك كلية تدعى كلية الإعلام مثلاً؛ واللغة الأساسية للتدريس هي اللغة العربية؛ تجد أنه تم فتح شعبة داخل الكلية تدرس باللغة الإنجليزية، وتجده تحول بعد ذلك إلى قسم له رسومه الخاصة، التي تتطلب قدرة مالية للطالب للنفقة على دراسته، ومع الوقت يتحول إلى استثماراً، وتكون هناك زيادة سنوية للرسوم ولا يتوقف ذلك فقط على كلية الاعلام بل تجد كلية الحقوق بها أقسام غير اللغة العربية مثلاً تجد شعبة حقوق إنجليزي، وشعبة فرنسي، وهكذا كلية التجارة تجد داخلها قسم اللغة العربية، وقسم أخر بالإنجليزية له رسوم خاصة مما يُحدث تفرقه بين الطلاب وفي ظل كل ما نكتبه، وننقله عما يسمى بالتعليم الحكومي، وما يحدث فيه من إنشاء أقسام جديدة بلغات أجنبية،

ورسوم خاصة تجد الدولة تُحدثك عما يسمى بمجانية التعليم وفي ظل لهفة الآباء،وأولياء الأمور لالتحاق أبنائهم بتلك المدارس الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي أو الأقسام الأجنبية داخل التعليم الجامعي؛ يغفلون أنهم بهذه الطريقة يأتون على لغتهم العربية فتجد الطالب منهم أغلب كلماته باللغة الأجنبية التي يدرسها لكنها ليست العربية بالتأكيد وذلك يشير إلى حجم التهديد الذي يواجه اللغة العربية في ظل اتساع رقعة التعليم الأجنبي، واستحسان أولياء الأمور له.

حكم تعلم اللغة الإجنبية والتحدث بها

وعن حكم تعلم لغة أخرى مع العربية سؤل الشيخ ابن عثيمين قال أما تعلم اللغة غير العربية فهذا ليس حراماً، بل قد يكون واجباً إذا توقفت دعوة غير العربي لتعلم لغته، بمعنى أننا لا يمكن أن ندعوه للإسلام إلا إذا عرفنا لغته لنخاطبه بها صار تعلم لغته فرض كفاية؛ لأنه لا بد أن نبلغ هؤلاء الأعاجم وأعني بالأعاجم مت ليسوا بعرب دين الله وبأي وسيلة؟ بلغتهم كما قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّن لَهُمْ }فأحياناً يكون تعلم اللغة الأجنبية واجباً إذا توقفت دعوة أهل هذه اللغة لتعلم لغتهم.

لكن الذي ننكره ونرى أننا على خطر منه أن نعلم أبناءنا الصغار ذوي الخمس سنين وأربع سنين وما أشبه اللغة الإنجليزية حتى يتكون لسانهم الطيع في المستقبل، هذا هو الذي أنكره، وإلا إذا دعت الحاجة إلى تعلم اللغة الإنجليزية لدعوة الناس إلى الإسلام صارت فرض كفاية، وإن دعت الحاجة لأمور دنيوية مباحة صار تعلمها مباحاً وقد ثبت عن النبي ص أنه أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود، ولغة اليهود عبرية، وكانت تأتي رسائل من اليهود إلى الرسول ﷺ والرسول ﷺ يبعث إليهم بالرسائل، فاحتاج إلى تعلم لغتهم حتى يقرأ ما يرد منهم ويكتب لهم .

قال شيخ الإسلام : إن زيد بن ثابت تعلمها في ستة عشر يوماً، يقول شيخ الإسلام: تعلمها في هذه المدة الوجيزة؛ لأن اللغة العبرية قريبة من اللغة العربية، وهذا صحيح، ثم إن العرب فيما سبق كانوا أحسن منا وأصح أفهاماً وأقوى حفظاً، يأتي الشاعر يلقي قصيدة تبلغ مائة بيت ثم ينصرف ويحفظها الناس، نحن الآن لو ألقي بيت واحد على طلبة جاءوا للتعلم مرة واحدة، كم يحفظه منهم؟ يمكن واحد أو لا أحد.

على كل حال أقول: إن الذي أنكره وأرى أننا على خطر منه هو أن نعلِم أبناءنا الصغار اللغة الإنجليزية، لأنها ستكون لساناً لهم، ويخشى عليهم أيضاً من تعلم اللغة الإنجليزية هل يقف هذا التعلم على مجرد النطق؟ لا أبداً، سوف يأخذ الكتب المؤلفة باللغة الإنجليزية ويقرأ الأدب الإنجليزي أو أدب غيرهم ممن وافقهم في اللغة ويحدث شر كثير، فليس مجرد أن اللسان يتغير، لا الإنسان يريد أن يطالع الكتب التي من هذه اللغة حتى يتمرن على القراءة فيها،

وحتى يتمرس اللسان على النطق بها،وما ندري ما وراء هذه الكتب، ويذكرون عن الكتب التي تكتب من أجل تعليم اللغة الإنجليزية أشياء سيئة وأما ماجاء في الحديث: من تعلم لغة قوم أمن مكرهم فهذا الحديث موضوع مكذوب، ليس بصحيح عن النبي ص، حتى بالمعنى لا يصح، هل أنت إذا تعلمت لغة قوم أمنت مكرهم؟ لا ولهذا نحن الآن عرب هل نأمن مكر العرب بنا؟ لا نأمن، مع إننا من أهل لغتهم فالصبية إذا تعلموا اللغة الإنجليزية تجدهم يتكلمون بها ويتخاطبون بها اذن التحدث بغير العربية لا يخرج صاحبه عن كونه معتاداً له أو كونه يخلط بعض الكلمات العربية بغيرها ، وللحالتين تفصيل أيضاً .

أولاً : من اعتاد التحدث بغير العربية ، فهذا كرهه جمع من السلف .

قال عمر : إياكم ورطانة الأعاجم وسمع محمد بن الحنفية قوماً يتكلمون بالفارسية فقال : ما بال المجوسية بعد الحنفية ، ما بال المجوسية بعد الحنفية وكذا نقلت الكراهة عن الإمام أحمد وسبب الكراهة كما وضح شيخ الإسلام أمران :

الأول : الحذر من نطق كلام لا يعرف معناه ، ومن هذا الباب منع العلماء الرقية بغير العربية خوفاً أن يكون فيها شرك أو ما لا يجوز

الثاني : أن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله .

وأيضاً فإن اعتياد ذلك من التشبه بالأعاجم ، وقد قال النبي : من تشبه بقوم فهو منهم .

ثانياً : من يخلط العربية بغيرها .

قال شيخ الإسلام : فالكلمة بعد الكلمة من الأعجمية أمرها قريب ، وأكثر الذين يفعلون ذلك إما لكون المخاطب مخاطباً أعجمياً أو أنه اعتاد الأعجمية يريدون إفهامه ، كما قال النبي ص لأم خالد وقد ولدت بأرض الحبشة : هذا سني هذا سني ، والسني بلغة الحبشة الجميل .

وينبغي أن يراعى في هذا المقام كثرت ما غلبت علينا به العُجْمَة وليس هذا دعوة إلى ترك تعلم العربية ولكن دعوة إلى الرفق في الإنكار والتعليم والصبر على استقامة ألسنتنا ، وللتوسع يراجع اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام .

<u>هل يمكن أن تنهض أي أمة بغير لغتها الأصلية؟</u>

في الوقت الذي ترزح فيه أمتنا تحت تخلف شديد تتزايد الدعوات من قبل كثير من النخب بأن تتبنى دولنا اللغة الإنجليزية في تعليمها العام والجامعي، سواء كان ذلك بشكل جزئي أو بشكل كامل حتى نتمكن من اللحاق بركب الحضارة والتقدم، حيث أن غالبية العلوم الحديثة موجودة باللغة الإنجليزية، كما أن اللغة الغالبة في الصناعة والاعمال هي اللغة الإنجليزية أيضاً.

وفي الجهة المقابلة، يطالب الكثيرون بأن يكون أساس النهضة مبنياً على حضارتنا وثقافتنا الخاصة وأهم ما في ذلك لغتنا الأم اللغة العربية ويجادلون بأن كل الأمم التي نهضت وتقدمت، نهضت بلغتها الأم وابتدأت رحلة النهضة بمشاريع ترجمة ضخمة تبنتها الحكومات وكانت البذرة التي دفعت عجلة التقدم العلمي والصناعي فيها.

فهل يجب علينا أن ننشر اللغة الانجليزية بيننا ونجعلها اساس تعليمنا وتعاملنا ؟ أم اننا قادرين على النهضة بلغتنا الأم كما فعلت كثير من الدول الاخرى مثل اليابان وكوريا وفنلندا وتركيا ودول أخرى كثيرة حيث اعتمدت هذه الدول على لغتها الأم بشكل مطلق في تعليمها وفي أعمالها وتمكنت من النهوض والانتقال لمصاف الدول المتقدمة.

هل يجب أن نطور قدرة أجيالنا على التعامل باللغة الانجليزية؟ أم أن علينا أن نعرب تعليمنا واقتصادنا بشكل كامل حتى نتمكن من النهوض؟.

الباب الثاني

مظاهر ضعف اللغة والطلاب

☆☆☆

مظاهر المشكلة وأسبابها

تتعدد مظاهر أزمة اللغة العربية وأسبابها ، وتتداخل المظاهر والأسباب حتى يصعب الفصل بين ماهو مظهر وما هو سبب ، ونكتفي بأوضح هذه المظاهر والأسباب، وأغلبها يعتمد على الملاحظة الميدانية بعيدا عن التبريرات والتعليلات النظرية وأهم هذه المظاهر والأسباب:

فى مجال الصحافة والإعلام

١- انكماش الصفحات المخصصة للأدب في الصحف اليومية ، والمجلات الأسبوعية والشهرية ، وهي لاتتسع غالباً إلا للون من الأدب الذى لايتفق مع قيمنا الأدبية ، واللغوية .

٢- ضعف الأسلوب الصحفى وغزارة الأخطاء فى صياغة المقالات ، والأخبار ، والشعر والإعلانات .

٣- ضعف الإعلاميين لغوياً،خصوصاً مقدمي البرامج، ونشرات الأخبار ، ويلجأ كثير منهم إلى تسكين أواخر الكلمات هرباً من الخطأ ، مع أن التسكين في غير موضع الوقفات يعد خطأ لا يقل عن الخطأ في ضبط الكلمات .

فى مجال التربية والتعليم

١- اضمحلال الكتاتيب فى القرى ، وقد كانت محاضن طيبة لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة

٢-هبوط مستوى الطلاب فى اللغة العربية ، خصوصا النحو ، ولعل من العوامل التي ساعدت على ذلك ضآلة الدرجة المرصودة للنحو في المدارس المصرية ، وهى (٨) درجات لشعبة العلوم (١٠) درجات لشعبة الأدبي ، في السنة النهائية من المرحلة الثانوية ،وكذلك ضآلة الدرجة المرصودة للغة العربية بكل فروعها وهى (٥٠) درجة للعلمي و(٦٠) درجة للأدبي ، وهي قرابة ثلث الدرجة الممنوحة للرياضيات ،

٣-ضعف المستوى اللغوي والأدبي والثقافي لمدرس اللغة العربية ، ويرجع ذلك لأسباب متعددة أهمها :

أ)هبوط المستوى الثقافي العام في الوطن العربي وخصوصا مستوى الثقافة الأدبية واللغوية .

ب)اعتماد نظام ترقية المدرسين في جوهره على الأقدمية المطلقة بصرف النظر عن المستوى العلمي ، والقدرة على العطاء ومدى تطوره فلا غرابة أن يعتبر أغلب المدرسين تخرجه وتعيينه مدرساً بداية حاسمة لقطع صلته بما يسمي تثقيف الذات الذي يعتمد على الإطلاع الواسع ، ومحاولة اكتساب الخبرة الميدانية في مجال عمله .

ج) قلة إقبال الطلاب الحاصلين على الثانوية العامة ، والثانوية الأزهرية على الالتحاق بالكليات التي يتخرج فيها مدرسوا اللغة العربية ومنها على سبيل التمثيل :

١-إلغاء كلية دار العلوم بمصر للمسابقة التي كانت تعقدها لاختيار الطلاب اللائقين للالتحاق بها ، وكان امتحان الاختيار ، أو التصفية بها في فقه العبادات والمعاملات ، وتاريخ النبي ص ، والخلفاء الراشدين ، وأدب العصر الحديث ، والتعبير ، والبلاغة تحريرا ، وشفويا زيادة على حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم .

وما يقال عن دار العلوم يقال عن الكليات الأزهرية التي كانت تشترط بصفة أساسية حفظ القرآن الكريم على من يريد الالتحاق بها .

٢- فتح الأبواب لمن لفظته الكليات الأخرى اعتمادا على نظام التنسيق الذي لا اعتبار فيه إلا لمجموع الدرجات الكلية بصرف النظر عن درجة مادة التخصص المناسبة للكلية المرشح لها الطالب ، ومن ثم يرشح لدار العلوم مثلاً أكثر المجموعات هبوطاً حتى لو كان الطالب حاصلاً على النهاية الصغرى لمادة اللغة العربية (٢٥/٥٠ في شعبة العلوم ، ٣٠/٦٠ في شعبية الأدبي) .

مظاهر ضعف الطلاب فى اللغة العربية

يولد الطفل وهو مزود بنعم كثيرة كالسمع ، والبصر ، والحس ، والعقل ما تلبث أن تنمو لتشكل له رأس مال يكون به قادراً على العيش ، ومواصلة النماء ، وتلبية حاجات الحياة ولا نستطيع أن نقدر هذه النعم حق قدرها إلا عند خللها أو فقدها ومضت سنة الله في خلقة استكمالاً لهذه النعم الفطرية بما أودع في الإنسان من طاقات هائلة ، تؤهله للرقي والارتقاء ، وتعده للإنتاج والإبداع ، وتساعده على التكيف والعطاء ، وتشكل له رأس مال مكتسب ، لايستغني عنه في حياته الفردية والاجتماعية ، وأبرز ما يتمثل ذلك في اكتساب اللغة .

من هنا وجب الاهتمام بتعليم اللغة ، على مستوى الفرد ، والمجتمع أيضاً ، وتنهض عناصر التربية ومؤسسات التعليم بهذا المطلب الحيوي الجوهري بحيث يتحقق الإتقان للغة في صورها الصوتية وتشمل : الكلام ، والاستماع

والخطية وتشمل : القراءة ، والكتابة .

والضعف أو القصور في أحد هذين الجانبين أو في المهارات المساعدة المتصلة بهما قصور في الاتصال الاجتماعي ، وتعطيل لوظيفة اللغة ، ونقص يعتري الأفراد ، وخطر يهدد الأمة ، وحيف يلحق تاريخها ، ويشوه شخصيتها ، ويساومها على ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وأصبح الضعف اللغوي ظاهرة العصر ، وقصر أداء اللفظ والكتابة عن استكمال مظاهر الصحة بين كثير من أبناء المدارس والجامعات وامتد الضعف إلى وجوه الأداء اللغوي الأولية والمهارات المساعدة ،وأخلت بالمعنى في بعض الأحيان وبمظهر الكتابة ، بوصفها وسيلة للاتصال والتعبير،ونقل الطلاب ضعفهم من التعليم العام إلى الجامعات ،التي خرجت فئات من المعلمين غير المؤهلين لسد العجز وتلافي النقص،في دائرة مغلقة لا يعرف بدايتها ولامنتهاها لتحديد نقطة الضعف وما يغص به إنشاء الطلاب وكتاباتهم في المرحلة المتوسطة والثانوية من أخطاء ، تلطخ ثوب العربية يند عن الحصر ، ويجل عن التعداد .

وقد أصبح الخطأ في اللغة هما يؤرق المهتمين والمعلمين وأولياء الأمور ،وأساتذة الجامعات ، والغيورين من أبناء الأمة ، وضجت الشكوى من هذا الضعف في كثير من البلدان العربية،وتنادت الصحف ، والندوات ، والمؤتمرات ، والمجامع بأن هذا الضعف في كثير من البلدان العربية ، وتنادت الصحف ، والندوات ، والمؤتمرات، والمجامع أن هذا الضعف أصبح بدرجة يهدد اللغة العربية واقعاً ومستقبلاً يخشى منه على الأمة ، وشخصيتها ، وعقيدتها ، وكيانها ، وصلتها بتراثها وجذورها .

وإذا كان البناء المعرفي لهذه اللغة من المرونة والاتساع بحيث يعطي مزيداً من التفسير والاحتمال لكل ظاهرة لغوية تقريباً حتى قيل: النحوي لايغلب ، وكان الأساس النظري للغة قد احتمل تعدد اللهجات واختلاف القبائل ، ونقل القاصي والداني من الألفاظ والروايات التي تتعدد فيها الوجوه ، والغرض أن نحتكم إلى الأفصح والأقوى والأشيع والأصح الذي استقرت عليه النصوص وجرت به الألسنة ، فذلك مخالفته مخالفة،وموافقته هي الصواب الذي لا ينبغي أن نحيد عنه وسيضمن لنا هذا الاتجاه وحدة اللغة ، ووحدة التعبير، ووحدة الأمة ، وتجنباً أن نخوض في فوضى لا حدود لها .

وعن أخطاء الطلاب سنعرض فيما يأتي بعض الأخطاء التي يقع فيها الطلاب:

١- الأخطاء النحوية :

- ترجيح الياء في إعراب جمع المذكر السالم المرفوع .

- الاضطراب بين الألف والياء في إعراب المثنى على خلاف مقتضى الإعراب .

- عدم الدقة في تطبيق أحكام الأفعال الناسخة والحروف المشبهة بالفعل الناسخة ولاسيما إذا تأخر المبتدأ ، كقولهم : كان في الامتحان سؤالاً ليس من المقرر.

- اللبس في إعراب الأفعال الخمسة بين حالات الإعراب ، فيثبتون النون في حالتي النصب والجزم .

- التردد في الأسماء الخمسة بين الألف والياء في حالتي النصب والجر .

- استعمال لغة اكلوني البراغيث في الكتابة والحديث كثيراً .

- عدم حذف العلة من المضارع المجزوم معتل الآخر .

- نصب المضاف إليه الذي يأتي بعد المصدر إذا كان من أضافة المصدر لمفعوله ، مثل : إعطاء قدراً كبيراً من الأمثلة .

- عدم إعمال حروف الجر في بعض الأحيان ،ونصب كل وبعض إذا جاءت بعدها ، مثل : على كلاً ، وأشرت إلى بعضاً .

- جر النعت إذا كان المنعوت منصوباً بالكسرة ، مثل ، شاهدت سيارات كثيرة في الشوارع .

هذه الحالات وغيرها من الأخطاء النحوية تدل على أنها تحتاج منا فرط عناية وتركيز ، بحيث توليها المناهج ويمنحها المعلمون اهتماماً خاصاً من الممارسة والوعي يتجاوز حفظ القاعدة واستظهار الأمثلة ، حتى يضفي تجديداً على طرق تدريس النحو وهي في أمس الحاجة إلى بعث هذه الروح فيها .

٢ـ الأخطاء اللغوية :

ـ إدخال همزة التعدية على الأفعال الثلاثية المتعدية بنفسها ، ثم بناء الصيغ من الرباعي ومن ذلك هذا أمر مهول مشين ملفت للنظر ، والصواب : هائل شائن لافت للنظر .

ـ إدخال أل على مايلازم الإضافة ، وحيث لاتفيد التعريف ، مثل : الكل يتمتع بالإجازة ، والبعض يريد السفر ، وسألت عن المسألة الغير مفهومة .

ـ مجيء الجمع على غير القاعدة لشبهة تعتري الأسم المفرد ، مثل : الكل يتمتع بالإجازة ، والبعض يريد السفر ، وسألت عن المسألة الغير مفهومة.

ـ مجيء الجمع على غير القاعدة لشبهة تعتري الاسم المفرد ، مثل : مدراء ، فضلاء ، بلهاء ، تعساء ، أحفاد ، محلات ، تهاني ، تعازي ، مساوئ وصوابها : مديرون، أفاضل ، بله ، تعسون ، حفدة ، محال ، تهنئات ، تعزيات ، مساوي.

ـ استعمال حروف الجر في غير موضعها .

- عدم الدقة في توظيف الدلالة اللغوية .

- مخالفة قواعد النسب في النسب إلى الجمع في مثل دولي ومهني ، وتجاهل الأصل في: اختبار شفوي ،وشكل بيضاوي، وزيادة واو في آخر الأسم الصحيح بعد حذف تاء التأنيث في مثل : وحدوي وهجروي ، والتأثر بالعامية في زيادة الجيم والياء في مثل مصلحجي ،ومشكلجي ، أو بزيادة النون والجيم والياء في مثل : فهمنجي ، وكلمنجي ، وفي كل ذلك خروج عن قواعد النسب ، ويلحق بذلك تصغير بيضة على بويضة .

والصحيح فيما سبق على التوالي : دولي ومهني (بتسكين العين) وشفهي (من الشفه) ، وبيضي (من بيضة) ووحدي وهجري ، ومصلحي ، ومشكلي ، وفهمي ، وكلمي ، وبيضة .

- إثبات ياء المنقوص مع الرفع أو الجر وهو ليس مقترناً بال أو بالإضافة فيشيع على ألسنتهم وفي إجاباتهم : ذهب : فعل ماضي ، وحصلت على تقدير عالي ، وله مساعي في الخبرة ، واعجبتني معاني كثيرة من القصيدة .

- تصحيح اسم المفعول من الأجوف اليائي مثل : مبيوع ، مخيوط ، مزيون ، مديون ، مهيوب ، وصوابها ، مبيع ، مخيط ، مزين ، مدين ، مهيب .

وقد لاترجع هذه الأخطاء وأمثالها ابتداءاً إلى التلاميذ ، لكنهم يرثون الغلط فيها من الصحف ، والكتب ،ولغة الحديث ، وشرح المعلمين ،لكن ذلك لايعفينا من تقويمها على ألسنتهم وأقلامهم حتى لانتيح لها الثبات والاستقرار .

-الأخطاء الإملائية :

الإملاء العرفي أشيع ما يقع فيه التلاميذ من الأخطاء الإملائية وهو على حد تعبير روبير دواترانس الكلمات التي تخضع كتابتها للعرف وليس لصحيح اللغة ولقواعد عامة.

ونجد ذلك في مثل : لاكن ، ذالك الذين (للمثنى) اللذين (للجمع) الأذى اللتي ، بسم الله ، عمر (في عمرو) وصوابها : لكن ، ذلك ، اللذين ، الذين ، الذي ، التي ، باسم الله ، عمرو .

- الاكتفاء بلام واحدة بعد دخول (أل) على ما كانت فاؤه لا ما في مثل : اللون ، اللسان .

- عدم التفريق في الأفعال الناقصة بين ما أصل ألفه الياء واصلها الواو ، وعدم معرفة الوسائل والطرائق التي يمكن بها معرفة التمييز بينهما وبسبب هذا اللبس يقع الخطأ في مثل : رمي ، وغزا ، ودعا ، وسعى ، وهكذا .

- كتابة التاء المربوطة مبسوطة .

- وضع الألف الفارقة في آخر كل فعل مختوم بالواو ، وفي آخر جمع المذكر السالم المضاف

- الارتباك في كتابة الهمزات المتطرفة ، وفي تنوينها ، وفي الهمزات المتوسطة أصلاً ، أو التي يطرا عليها التوسط .

- عدم التفريق بين همزتي الوصل والقطع ، والمواضع التي تتطلب كلا منهما فنجد الهمزات تنثر على ما يستحق وما لا يستحق من المواضع أو تحجب عن مواضع كان بنبغي أن تظهر فيها وهي ظاهرة من الشيوع تجل عن الحصر ، أبرزها ما يأتي مثل : أنظر ، استخرج ، انكسر ، اسم ، ابن ، الاثنين حيث تأتي بهمزة القطع وإنما هي وصل وفي مثل : أمهد ، الإسلام ، أحسن ، حيث تأتي بلاهمز وإنما هي مقطوعة .

- بقاء ألف (ما) الاستفهامية بعد دخول حروف الجر عليها ، فتلتبس بما الموصولة ويصبح الكلام خبرًا ، مثل : بما تكتب ؟ وعما تتحدث ؟ ولما تستعجل ؟ وصوابها : بم، عم ، لم .

وقبل أن أغادر الأخطاء الإملائية أود أن أوضح أنه:

١- لا تقتصر الأخطاء الإملائية على ما سبق ، لكن هناك أخطاء أخرى أقل منها خطورة ، وأيسر شناعة رأيت أن أضمها إلى رداءة الخط وإن كانت مع الدقة والتحقيق لا تخرج عن كونها أخطاء إملائية .

٢-أن القواعد اللازمة لتلافي هذه الأخطاء كلها مما يدرس في المرحلة الابتدائية وبعض المرحلة المتوسطة وهذا يدعونا إلى التفكير والتساؤل : علامة هذه الأخطاء الفاشية الفادحة ؟

ولماذا لاتقف عند حد تعلمها ، أو في نهاية التعليم العام ، أو في مرحلة التعليم الجامعي ؟ لابد أن نعاود النظر في توزيع المقرر وطريقته ، وطرائق التدريس والتدريبات ، وقدرات المعلمين ومستوياتهم .

رداءة الخط والكتابة

على الرغم من التقدم الحضاري الذي يكتنف الحياة المعاصرة ، والذي ظهر أثره في رقي الذوق إلا أن الحظ لسوء الحظ يتقهقر ويتخلف مع أن جانب الجمال الفني هو الغالب عليه ، ويأسف المرء على ما وصلت إليه خطوط طلاب الثانوية العامة مما يضيع عليهم كثيراً من الدرجات وقد دلت بعض الدراسات على أن شكل الكتابة وجمال الخط عامل مؤثر في تقويم المدرس وتقدير الدرجة في الأعمال التي تضم حقائق عادية ، ومعارف عامة ، كبحث أو ورقة اختبار ، ويقل تأثير هذا العامل إذا كانت الأعمال ابتكارية فإذا كان لدى المدرس عملان كتابيان في مستوى واحد فإن الخط يكون هو العامل الأخير المميز بينهما في تقويم المدرس لهما .

وأهم مظاهر رداءة الخط مايلي :

- إهمال نقطتي التاء المربوطة ،وهو شائع وكثير ويرجع ذلك إلى الوقوف عليها بالهاء ، حتى عندما تقع في وسط الجملة .

- نقط الهاء المتطرفة ، سواء كانت أصلية ، أو كانت ضميراً .

- عدم الدقة في وضع النقط أثناء الكتابة .

- العجلة في الكتابة والتسرع في الرسم ، مما لايساعد على حفظ التوازن والمسافات بين الكلمات .

- الخلل في التسنين .

وترجع أكثر هذه المظاهر في الكتابة إلى اكتساب عادات غير صالحة منذ التدريبات الأولى ، ثم تستقر مع الممارسة وتقدم الزمن وتقاوم بما تقاوم به العادات في ضوء ما ذكرته كتب علم النفس .

الصيغ وروابط الأسلوب

اللغة العربية غنية بصيغها المتعددة وبجوانبها الصرفية ، وأنواع الجموع ، وقدرتها على تمثل المادة اللغوية ونقلها إلى معان عديدة بالاشتقاق أو تغير الحركة أو إشباعها والطالب العربي في أكثر المناهج يدرس أنواع التصريفات والجموع والمشتقات والأبنية ، ومع ذلك فقدرته على استعمال هذه الصيغ وتوظيفها والتفريق بينها تعد قليلة وتكاد لغته تكون محصورة بين الصيغ المشهورة المتداولة كاسم الفاعل والمفعول ، ولاتلقي المادة الدراسية ظلها على هذه اللغة فيقل فيها المصدر الميمي ، والصفة المشبهة ، وأسماء الزمان والمكان والآلة وبعض صيغ المبالغة ، أو حالات أفعل التفضيل ، وأوزان جموع الكثرة ، وصيغة التعجب ، وغيرها .

ويرمي تعليم اللغة العربية إلى تزويد الطالب بالقدرة على معالجة الفكرة وخصبها وعمقها بنوع من الاستيعاب والوفاء بالعناصر والأجزاء والإحاطة والشمول ، وتوليد المعاني الجزئية المتصلة بالفكرة الأساسية من خلال نمو داخلي مترابط تصب فيه الأفكار في قالب محكم متجانس ، وترتيب منطقي يسلم بعضها إلى بعض ويأتى ذلك بذكر الأسباب وتقديم العلل ، ورصد النتائج التي تترتب عليها مع ضرب الأمثلة والشواهد ، وعرض الموازنات وتوظيف المعلومات المختلفة غير أن المتأمل في أسلوب الطلاب ومدى إحكامه يجده في ظل هذه المعايير مفككاً وضعيفاً ،تقل فيه الروابط ،وتكثر فيه الانتقالات المفاجئة دون تمهيد مع تباين في المستوى والفكرة، وتباعد في الزمان كعطف مضارع على ماض أو بالعكس ، أو عطف خبر على إنشاء أو العكس ، وخلل في استعمال الضمائر كالانتقال من الحضور إلى الغيبة أو العكس ، ومن المفرد إلى الجمع والعكس، ومن المذكر إلى المؤنث من غير مسوغ وليس في الفكرة عمق يعطي الأسلوب قوة دفع وامتداد ، ولا عاطفة تؤدي إلى الربط والإحكام ، وربما حفظ الطالب مقدمة من هنا وخاتمة من هناك وألصقها في كل موضوع يتناوله ويمكن حصر مظاهر ضعف الأسلوب وتفككة فيما يأتي :

ـ قضيـة التذكير والتأنيث على غير القاعدة تحتل حيزاً في أساليب الطلاب ، وتظهر في :العدد ، مثل : استلمت خمس كتب ، واشتريت خمسة جرائد ويلحق بذلك تمييز العدد ، حيث يفرد في مثل : سبعة كتاب ، وتسعة قلم وتأنيث المفرد المذكر إذا كان مضافاً إلى جمع مؤنث أو مكسر مثل : زرت إحدى المستشفيات ، وأعجبت بإحدى أقسامها ، وأجبت على أحدى الأسئلة وتذكير المؤنث المضاف عكس الحالة السابقة مثل : بدأ أحد العيادات في استقبال المرضى ، وكانت الصيدلية في أحد الزوايا وتأنيث بعض الصيغ التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، مثل : امرأة سافرة ، وأخرى مصونة ، وأم مرضعة ، وحائضة وإلحاق تاء التأنيث ببعض الأوصاف التي تصلح للمذكر والمؤنث ، مثل ، زوجة ،إنسانة ، خادمة ، عاشقة ، عانسة ، عاقرة ، وهي للمذكر والمؤنث : زوج ، إنسان ، خادم ، عاشق ، عانس ، عاقر وتذكير أفعل التفضيل الجاري على المؤنث في حالة المطابقة ، مثل أخترت الجائزة الأفضل له ، واخترت الشقة الأكبر ، وأثنيت على البنت الأصغر ، ويلحق بهذا مجئ من بعد هذه الصيغ كالقول الشقة الأكبر منهما ، والبنت الأصغر منهن والصواب في كل ذلك : الجائزة الفضلى ، والشقة الكبرى ، والبنت الصغرى وتبعيض المؤنث من المذكر،مثل : كانت أختي من الفائزين ، وتفوقت ، وكانت من الأوائل والصواب : من الفائزات ، ومن الأوليات أو الأول وإدخال الباء مع استبدال ، وبدل ، وتبدل على المطلوب لا المتروك ، كقولهم : استبدلت أو بدلت قلم الحبر الجاف بقلم الحبر السائل يريدون إيثار الثاني ، والصواب : استبدلت قلم الحبر السائل بقلم الحبر الجاف ،

لأن الباء تدخل على المتروك وتكرار كلما مع الجواب كقولهم : كلما قرأت كلما وجدت فائدة والصواب كلما قرأت وجدت فائدة ودخول لا أو لن على الفعل بعد سوف في قولهم : سوف لانكذب ، وسوف لن نهمل الواجبات لإرادة النفي في المستقبل وإنما ينفي المستقبل في العربية باستعمال لن كما أن سوف لايفصل بينها وبين الفعل فاصل والصواب في ذلك أن يقال : لن نكذب ، ولن نهمل الواجبات وتشبيه الشئ بنفسه باستعمال الكاف كقولهم : أنا كطالب علم لا أقصد ذلك ، وهو كشخصية متميزة يستحق الجائزة ولعل ذلك من أثر الأساليب المترجمة والأصل أن تنصب هذه الأسماء على الحالية ، أو ترفع على الخبرية أو يحل محل الكاف بكونه أو بصفته والركاكة في صيغ الاستفهام بتأخير حرف الجر أو إدخاله على الضمير ، ومن هذا القبيل : ماذا يدل عليه الحكم ؟ وماذا يتحدث عنه الشاعر ؟ماذا يستخدم له المشرط ؟ وماذا يكتب به التلميذ ؟ والأصح في ذلك : علام وعم ، ولم أو لماذا ، وبم أو بماذا كما يقال : إلام ، وحتام ، وفيم ، ومقتضام ؟ وغيرها واستعمال الفعل المبني للمجهول مع وجود الفاعل كقولهم : شرح ذلك من قبل المدرس ، وطلب الحضور من قبل رئيس الفريق ، وأعلن الموعد من قبل المدير وهذه الأساليب تعالج بالتركيز والمتابعة والتدريب والإفراط في استعمال حروف العطف والاستدراك وعدم الاهتمام بالتشكيل عملاً بقاعدة سكن تسلم ويظهر ذلك في الكتابة بوضوح في حالات النصب ، فهي التي تحتاج في الكتابة إلى علامة خطية غالباً بخلاف الرفع والجر

إذ لم تجر العادة بضبط الإعراب بالعلامات الأصلية أما التسكين في النطق والتعبير الشفهي والقراءة فهو أكثر وأشبع وهذه الظاهرة ترجع إلى طغيان العامية على ألسنة الطلاب فالعامية تؤثر التسكين ، وتعمل على التخلص من حركات الإعراب والتحلل من ضوابطه ، والمتكلمون بها يلتزمون الإسكان في جميع صورها وعدم التمكن من إدراك علاقات المفردات على البديهة وما يتبع ذلك من معرفة أحكام الإعراب ، وإقامة الشكل المناسب.

مشكلات القراءة

وفيما يلي أبرز هذه المشكلات :

-الميل إلى تسكين أواخر الكلمات -قطع همزة الوصل-قطع الهمزة وإبراز اللام الشمسية - عدم تحكيم قواعد الدمج - إشباع الحركات في وسط الكلمة – وغالباً في آخرها – حتى يكاد يتولد منها حرف مد- القراءة كلمة كلمة ، دون مراعاة التسلسل والترابط وتقسيم الكلمة إلى مقاطع أحياناً - نطق التاء المربوطة في الوصل (وسط الجملة مثلاً) هاء - ضم هاء الضمير المسبوقة بكسر أو ياء ، مثل : عليهم ، في أعناقهم وحقها الكسر- نقل مخرج الحرف إلى مخرج حرف آخر ، فالذال زاي ، والثاء سين ، والضاد ظاء ، والقاف كاف وغين أو همزة أو نقله إلى مخرج لانظير له في اللغة العربية فالظاء زاي مفخمة ، والقاف جيم قاهرية ، والجيم قريبة من القاف العامية وعلى الرغم من الانفجار المعرفي الذي يتسم به العصر ،

والنمو المستمر ، والتقدم المطرد ، حتى قدر العلماء أن المعرفة تتضاعف كل عشر سنوات تقريباً ، وعلى الرغم من القفزة الهائلة في وسائل الاتصال والتقنية التي تمدنا بالمعرفة في حلنا وسفرنا ،ومع ما أتجهت إليه الجامعات من الاهتمام بمواد الإعداد العام ، ومتطلبات الدراسة ، حتى غلبت في كثير من الأحيان ساعات التخصص ، فإن كثيراً من المتعلمين يظل أسير تخصصة ،وهذا أمر طيب إذا هضم معه ثقافة كافية ومادة تساعد صاحبها على التكيف أما الانغلاق على التخصص والاقتصار على جانب معين والانعزال عن الثقافة الضرورية فليس من طبيعة العصر ولا من روح التربية ونحن في حياتنا العربية والإسلامية أحوج ما نكون إلى التمكن من الأسس والثوابت العامة في حياتنا وتاريخنا .

<u>أسباب ضعف الطلاب فى اللغة العربية</u>

أولاً : أسباب عامة ومنها :

١- استخدام العامية بلهجاتها الكثيرة داخل الفصل وخارجه .

٢- ندرة اهتمام معلمي المواد الدراسية المختلفة بالفصحى الميسَّرة .

٣- قلة إقبال خريجي الثانوية العامة خاصة الممتازين منهم على الدراسة في كليات التربية وبالأخص قسم اللغة العربية .

٤- قلة اهتمام المدارس والمعلمين بالأنشطة اللغوية غير الصفية .

٥- إسناد تعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية أحيانًا إلى معلمين غير متخصصين أو ذوي مستوى متدنٍّ .

٦- اعتقاد البعض أن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المعاني والمصطلحات العلمية الحديثة .

ثانيًا : أسباب خاصة بالطالب :

١- أسباب عقلية : خاصة ضعف الذكاء وبطء التحصيل .

٢- أسباب صحية وجسمية : كاضطراب النمو الجسمي وضعف البنية واعتلال الصحة .

٣- العاهات الجسدية : كضعف السمع أو البصر وصعوبات النطق .

٤- أسباب نفسية: خاصة بسبب ما يعايشه الطالب من قلق وخوف ومشكلات داخلية .

٥- النظرة السلبية التي يحملها الطالب من الأهل أو الإخوة الكبار عن اللغة العربية وصعوبتها المزعومة .

ثالثًا : أسباب خاصة بالمعلم :

١ - عدم اهتمام البعض بحصص اللغة العربية، فلا يُدخل المعلم على درسه ذلك النشاط والحيوية التي يستحقها ، وهذا ينعكس على الطلاب الذين يحاكون مدرسهم بصورة سلبية .

٢-عدم التنويع في طرق التدريس واستخدام طرق تقليدية .

٣- عدم اهتمام عدد من معلمي اللغة العربية بتصحيح الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الطلاب.

٤- عدم التزام بعض مدرسي اللغة العربية باللغة الفصحى الميسَّرة ، والتعبير عنها بأسلوب صحيح .

٥- عدم اقتناع فئة غير قليلة من العاملين في ميدان التعليم باستخدام الوسائل التعليمية والتكنولوجية الحديثة في تعليم اللغــة العربيــة وتعلّمها .

٦-عدم حصول عدد من المعلمين على تأهيل تربوي كافي قبل الخدمة وأثنائها.

٧- الضعف اللغوي لدى فئة من معلمي اللغة العربية وافتقارهم إلى السليقة اللغوية السليمة .

٨- عدم التكامل في تدريس اللغة العربية ، واعتبار فروع اللغة العربية كأنها مواد منفصلة .

٩- ضعف المستوى الأكاديمي والتربوي لعدد من معلمي اللغة العربية نظرًا لأن معظم من يلتحقون بكليات التربية خاصة قسم اللغة العربية هم ممن لم تقبلهم الكليات الأخرى .

رابعًا : أسباب خاصة بالمنهج :

١- كبر حجم المقرر الدراسي مع خفض عدد الحصص المقررة لمادة اللغة العربية .

٢- صعوبة المنهج بالنسبة للطلاب متوسطي التحصيل والضعفاء .

٣- تنوع المقررات الدراسية وتعددها مما قلل التركيز على اللغة العربية.

٤- تدريس اللغة الإنجليزية للطلاب ابتداءً من الصف الأول الابتدائي ، إلى جانب تدريس اللغة العربية .

٥- افتقار المناهج لعنصر الإثارة والتشويق وإعمال الفكر .

٦- تركيز المناهج في جانب التقويم وكذا الامتحانات على جانب المعرفة في مستوياته الدنيا ، وقلّما يتم الاهتمام بالجانبين الوجداني والنفسي ، أو بالمستويات العليا من جانب المعرفة .

خامسًا : أسباب خاصة بمديري المدارس والمشرفين:

١- التركيز في عملية الإشراف على معلمي اللغة العربية على زيارات الفصل فقط .

٢- كثير من مديري المدارس من تخصصات غير اللغة العربية ، ولا يجيدون توجيه معلمي اللغة العربية التوجيه المناسب .

٣- عدم توجيه معلمي اللغة العربية في المنطقة الواحدة أو المدرسة الواحدة للاستفادة من خبرات بعضهم من خلال اللقاءات وتوجيه الأقران

٤- كثير من دروس التوضيح التي تُعقد في المدارس ذات طابع استعراضي ، ولا يتم متابعة تطبيق المعلمين للأفكار الواردة فيها .

٥- عدم تشجيع مبادرات الإبداع من بعض المعلمين المبدعين .

٦- الاقتصار في تقويم المعلمين على تقدير جيد أو جيد جدًا ، وعدم وضع تقدير ممتاز .

الباب الثالث

علم نفس اللغة ووجهات نظر

☆☆☆

علم نفس اللغة

هذا العلم، علم اللغة النفسي، أو علم النفس اللساني/اللغوي ، يدرس علاقة اللغة بالعقل ويتطرق إلى لغة البشر الطبيعية وتعريفات هذا العلم شائعة ويُعتبر هذا العلم من أحدث الفروع اللغوية المعاصرة وتعود بدايته إلى منتصف القرن العشرين في أمريكا وسرعان ما عمّ وانتشر في بلدان العالم وهناك لغويون كثيرون يرون أن لظهور نظرية التوليد التحويلية **,فى** اللغة لدى نعوم تشومسكي الفضل في نشأة علم اللغة النفسي الذي يبحث في العلاقة ما بين اللغة والعقل أو النفس البشرية تلك النظرية التي بحثت مبنَيَي الجملة، العميق والسطحي، عقّدت الصلة بين التحليل اللغوي ونظرية التعلم والمعلومات ويرى تشومسكي مثلا أن العلاقة الشرطية بين المثير والاستجابة غير صالحة لتفسير قدرة الانسان على التكلم في اعتقاده لدى الطفل مَلَكة أو قدرة أو قابلية فطرية تعينه على تعلم اللغة كقرع الشفتين عند ابن خلدون من خلال السماع وتكوين قواعد اللغة والقياس عليها لاحقاً يُطلق عادة على هذه الفطرة أو مَلَكة اللغة اسم نظرية فطرية للقواعد اللغوية العالمية في مخّ الطفل، وقد سمّاها اللغوي تشومسكي أداة/جهاز اكتساب اللغة المتشكل في السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل يوُلد الطفل مُبرْمجا كالحاسب بهذه الآلية الرئيسية المشتركة لدى بني البشر

عامّة يُذكر أن هذه الآلية تولد في السنوات الأولى لحياة الطفل ما يمكن تسميته بـالقواعد الداخلية في سنّ السادسة تقريباً يكون الطفل قد سيطر على مبادىء لغته وبهذا الإنجاز تتحقق مرحلة هامّة جداً من التطور النفسي لديه ويوجد بعض أوجه شبه بين الوضع الذي يتعلّم فيه الطفلُ الكلامَ وبين اللغوي الباحث في اللغة وكل محاولات الكبار في تصحيح طريقة تلفظ الصغار ببعض الكلمات تذهب أدراج الرياح لأن الأوائل بواد والأواخر في آخر الأطفال يبنون لغتهم بجد ونشاط.

وتمثّل العلاقة بين الأفكار والجمل المشكلة الرئيسية لعلم اللغة النفسي، إنها معضلة المعنى، وعلم الدلالة يفسر جمل معينة على مبناها النحوي من جهة ومعنى كل عنصر في الجمل من الجهة الثانية لابدّ من التنويه أن معاجم اللغات البشرية كلها ليست كاملة ولا تدلّ على مبنى اللغة وفلسفتها.

معلوم أن هذه اللغة ذات سمات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية مغايرة مقارنة بلغة البالغين وفترة ما قبل الصف الأول هي الفترة الذهبية بالنسبة للنمو اللغوي لدى الإنسان؛ تنمو اللغة جنباً إلى جنب مع النمو العقلي وهي عامل أساسي في تطوره وتطوّر الطفل يتوقّف على تطوّر لغته فللغة دوراً مركزياً في عملية التربية ويمكن القول إن اللغة لا تعبّر عن التواصل والأفكار فقط بل عن العواطف والرغبات والأهداف وأمور كثيرة أخرى أكثر عمقاً .

في سن الثامنة من العمر يصل الطفل عادة إلى مستوى الراشدين من حيث النطقُ وفي العاشرة يصبح مستوى النحو لدى الفتى ناضجاً كالكبار في مجال ألفاظ الدلالة، المعجم، تستمرّ عملية التعلّم والنمو والتطوير حتى نهاية العمر فقد أظهرت بعض الاختبارات أن تعلّم عدّة لغات في السنوات العشر الأولى من عمر الطفل يعرقل النمو الفكري لذا يفضّل اكتساب لغة الأم والتمكن منها أوّلا وبعد ذلك يمكن الشروع فى تعلم لغات أخرى.

<u>سيكولوجية تعليم اللغة أجنبية</u>

لا خلاف في وجودعلاقة وطيدة تقوم بين اللغة والجوانب النفسية في حياة الإنسان لأن اللغة لا غنى عنها في جميع الأنشطة العقلية والنفسية لدى الإنسان فعملية التفكير على سبيل المثال لا تحدث بدون اللغة إذ أنها هي التي تشكل أداة لهذه العملية ووسيلة لإبراز نتائجها بل ان النمو العقلي لدى الإنسان يتواكب دوماً مع النمو اللغوي لأن القدرة على التفكير التي تمثل النمو العقلي لدى الإنسان تعتمد إلى حد كبير على اللغة فاللغة لها وسيلة وتقدم لها ألفاظا وتعاريف تستمد منها وتستند إليها في آن واحد.

هذه العلاقة الوطيدة بين اللغة والجوانب العقلية والنفسية لدى الإنسان تفرض أن تعليم اللغة وتعلمها، يجب أن يراعي عوامل نفسية ولغوية وتعليمية وتعليم اللغات الأجنبية ليس استثناء فاتصالنا بهذه اللغة يعطي مجالاً لظهور المشكلات النفسية إلى جانب المشكلات اللغوية والثقافية مما يعني أن أي محاولة لتعليم لغة أجنبية لا بد أن تراعي هذه الجوانب النفسية وتذلل مشكلات التعليم المترتبة عليها ومن هذا الاتجاه جاءت فكرة تناول أهداف الجوانب السيكولوجية التي لا بد من مراعاتها في تعليم اللغة الأجنبية .

هل نعلم لغة ثانية للأطفال قبل السادسة؟

لا شك أن اللغة الإنجليزية هي أكثر اللغات انتشارا في العالم. حيث إن شخصا من كل أربعة أشخاص في العالم يستطيع التحدث باللغة الإنجليزية فهي اللغة الرئيسة في التجمعات السياسية الدولية، ونظراً لهيمنة اللغة الإنجليزية على جميع المجالات، يزداد عدد الراغبين في تعلمها ولا يوجد دولة في العالم لا تدرس اللغة الإنجليزية في مدارسها وجامعاتها وصاحب تغلغل اللغة الإنجليزية وانتشارها في جميع مناحي الحياة ظهور الكثير ممن ينادي كتابها بضرورة تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال في سن مبكر وصاحبه رغبة الكثير من الآباء في تعليم أبنائهم اللغة الإنجليزية منذ نعومة أظفارهم فنمهم من يحرص على وضع أبنائه في رياض أطفال خاصة ومدارس خاصة حتى يتعلموا اللغة الإنجليزية كلغة ثانية،ثم مالبثوا أن أصبح الشغل الشاغل للكثيرين هو في أي سن يبدأون تعليم أطفالهم اللغة الإنجليزية وما تأثير تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال على تعلمهم للغة العربية؟

أظهرت نتائج الدراسات التي أجريت ضرورة تعلم الأطفال اللغة العربية في مرحلة الروضة قبل الانتقال إلى تعلم اللغة الإنجليزية في المراحل اللاحقة، لأهمية اكتساب الأطفال للمفردات والمفاهيم باللغة العربية والنطق السليم للكلمات العربية وأظهرت نتائج العديد من الدراسات أهمية إتقان الأطفال للغة الأم قبل تعلمهم للغة الأجنبية فقد أشارت جالاجر إلى أن قيام المدارس الدولية بوضع الأطفال الصغار في برامج الطفولة المبكرة دون دعم من اللغة الأم له آثار سلبية على الأطفال وأشار دولسون إلى أن تعلم الأطفال للغتهم الأم من شأنه أن يساعدهم في بناء الأساس الأكاديمي الذي سيساهم في نجاحهم الدراسي والمهني في المستقبل كما أظهرت نتائج دراسة أجراها واجنر على ١٨٦ طفلاً لغتهم الأم هي البربرية ولغتهم الثانية هي العربية، أن القدرة على القراءة باللغة الأم تشكل القاعدة الهامة التي يبني عليها الطفل مهارات القراءة باللغة الثانية وأظهرت نتائج دراسة أجراها ديرجونوجلو على ٤٦ طفلاً في الصف الأول أن القدرة الجيدة على القراءة باللغة الأم قد انتقل أثرها وساعدت على تنمية قدرتهم على القراءة باللغة اللغة الثانية.

لذا ننصح بعدم تعليم أبناءنا لغة ثانية فى سن مبكرة ونتمنى إلغاء تعليم اللغة الأجنبية الثانية فى مرحلة التعليم الأساسى أو الابتدائى حتى يتمكن أبناؤنا من الإلمام بالعربية أولاً أو يكون تدريسها فى المراحل الأولى من التعليم اختيارياً.

الأسس النفسية لتعليم اللغة العربية:-

تكمن مراعاة الجوانب النفسية في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية في استناد عملية وضع منهج تعليم هذه اللغة إلى الأسس النفسية، التي يمكن تعريفها بمجموعة من المفاهيم والحقائق والمبادئ المستقاة من نتائج دراسات علم النفس فيما يتصل بتعلم اللغة وتعليمها، مثل: العلاقة بين اكتساب اللغة الأولى وتعلم اللغة الثانية، والدوافع، والاتجاهات، والعوامل الشخصية ودورها في تعلم اللغة الثانية يتضح من هذه الأسس أن هناك عدة جوانب ينبغي مراعاتها وتوظيفها في مجال تعليم اللغة العربية، وهي:

أولا: جانب إستراتيجية التعلم: يعد هذا الجانب عاملاً ضرورياً في تعليم اللغة العربية إذ أنه يتعلق بما يلجأ إليه المتعلم في تعلمه اللغة ويحتوي على استراتيجيتين أساسيتين، هما المحاكاة وتشكل جانباً أساسياً من عملية اكتساب اللغة والممارسة حيث تمثل الممارسة عاملاً مهماً من العوامل التي تساعد على تثبيت التعلم وفي مجال تعلم اللغة يتضح ذلك في أن الطفل في المراحل الأولى من تعلم لغته الأولى يكرر ما يسمعه مرات ومرات ويتناغى بما يحبه من أصوات وما يستريح له من كلمات .

ثانيا: الجانب النفسي: ولا يقل هذا الجانب أهمية عن الجانب السابق ذكره ويتعلق بنفسية المتعلم الأجنبي عند تعلمه اللغة العربية ويحوى عدة ملامح نفسية يتمثل أهمها في الدافعية وهي القوة النفسية التي تدفع الفرد إلى فعل شيئ والسعي إلى تحقيق أهدافه من وراء ذلك، وهي من العوامل النفسية الأكثر تأثيرا في عملية التعلم. وفي مجال تعليم اللغة الأجنبية تعد الدافعية من العوامل التي تؤثر في نجاح الدارس في عملية التعلم .

وفي عملية تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية تتمثل مراعاة الدوافع في تأكيد وجودها لدى الراغبين في تعلم اللغة العربية وبالتالي تقويتها إذا كانت ضعيفة عن طريق على سبيل المثال إفهامهم أن تعلم اللغة العربية سوف يساعدهم . الاتجاهات: الجانب التالي من الجوانب النفسية التي ينبغي مراعاتها في مجال تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية هو الاتجاهات والاتجاهات هي حالات استعداد عقلي وعصبي نُظِّمَت عن طريق التجارب الشخصية وتعمل على توجيه استجابة الفرد لكل الأشياء والمواقف التي تعلق بهذا الاستعداد والاتجاهات في مجال تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية تتمثل في مواقف الطلاب الأجانب نحو اللغة العربية وتحدد استعدادهم العقلي والعصبي لتعلم هذه اللغة.

ثالثا: جانب الشخصية: ويعد جانب الشخصية من أهم الجوانب التي لا يمكن تجاهلها في تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية إذ أنه يتعلق بشخصية المتعلم ويؤثر على نشاطه التعلمي. ويغطي هذا الجانب عدة خصائص شخصية يأتي أهمها فيما يلي:

١. الفروق الفردية: وتبرز الفروق الفردية جليا في عملية تعليم اللغة وتعلمها إذ إن تعليم اللغة وتعلمها يرتبط بكل جوانب الإنسان ومنها ما يختلف فيه فرد عن غيره.

٢. السن وهو مما تبرز فيه الفروق الفردية بين متعلمي اللغات الأجنبية، لأن اختلاف الأعمار بينهم يجعلهم ليسوا في درجة واحدة من القدرة على تعلم اللغة.

أهداف تعليم اللغات الأجنبية

يهدف التعليم الأجنبي إلى تأهيل المتعلم للتمكن من وسائل التعبير ومعرفة الأدب والثقافة، وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية، وتنمية القدرة على التحليل والتركيب من خلال الاتصال؛ تمكين الطفل من فهم المحيط الاجتماعي والثقافي بسهولة أكثر؛ وتطوير فكر متفتح على الثقافات الأخرى باختلاف تقاليدها وعاداتها؛ وتنمية حب الاطلاع؛ وتيسير الاتصال والتواصل مع الغير؛ توطيد العلاقات بين الأجيال والقدرة على فهم واحترام الفروق الثقافية والاجتماعية بين اللغات؛ تنمية فكرة التسامح والتقارب بين الشعوب وهناك اتجاه يرى أن تعلم الطفل لغة أخرى بجانب لغته الأصلية هو السبيل الأمثل لتوسيع مداركه وإثراء تجاربه أما الاتجاه الثاني فيرى أن تدريس لغة أجنبية في التعليم العام،خاصة في المرحلة تعليم الاساسية، سيؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية المتمثلة فى اللغة الأم، ويؤكد هذا الاتجاه أن اللغة الأجنبية لا تدرس من فراغ،

فهي ليست مفردات وتراكيب نحوية فحسب، إنما هي وعاء لثقافات وعادات وقيم للناطقين بها، وما يترتب على ذلك من تأثير على وجدان المتعلم وفي عالمنا العربي، بدأ الحوار حول تدريس اللغة الأجنبية في العديد من ندوات التربية وفي الأوساط العلمية ولدى المهتمين بالتعليم الأجنبي في الجامعات ومؤسسات التعليم المماثلة، ويستطيع المتتبع لهذا الحوار أن يتبين الاتجاهين المشار إليهما آنفاً، إذ يدعو القائلون بالاتجاه الأول إلى التوسع في تعليم اللغة الأجنبية وإدخالها في مرحلة التعليم الأساسى بل وفي مرحلة رياض الأطفال، في حين يدعو الاتجاه الآخر إلى إلغاء تدريسها في هذه المرحلة أو تأجيل إدخالها إلى السنوات الأخيرة من مرحلة التعليم الأساسي وعلى الرغم من تعارض الاتجاهين المذكورين وصعوبة الأخذ بواحد منهما دون الآخر، فإن الملاحظ أن تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة التعليم الأساسية أضحى أكثر انتشاراً سواء في المدارس الحكومية أو الخاصة ولقد ازداد الاهتمام العالمي في العقود القليلة الماضية بتعليم الصغار لغة أجنبية غير اللغة الأم، وكان ذلك واضحاً في المجتمعات المتعددة ثقافياً ولغوياً مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، من أجل توحيد اللغة والثقافة وتحقيق مبادئ الديمقراطية وتكافؤ فرص التعليم وصاحب تلك الجهود محاولات لحل بعض المشكلات الناجمة عن تعليم أبناء الأقليات، حيث استعانت تلك المجتمعات ببرامج تربوية خاصة أو تنويع برامج التدريس، بهدف التعامل تعليمياً مع أبناء جماعات الأقليات، التي يمكن إيجازها على النحو التالي:

١ التعليم ثنائي اللغة حيث يتعلم الطفل لغتين في الوقت نفسه بشرط أن يزداد ما يقدم إليه باللغة الإنجليزية تدريجياً على حساب ما يقدم إليه بلغته الأم، وذلك بهدف تمكينه من اللغة الإنجليزية، لكي تحل محل لغته الأولى تدريجياً.

٢ برنامج غمر أو انغماس الطفل حيث يتم تعليم الطفل باللغة الإنجليزية منذ البداية مع إهمال لغته الأولى وهذا النموذج أكثر انتشاراً في بعض مناطق كندا

٣ تعليم اللغة الثانية وهنا يتعلم الأطفال لغتهم الأولى ثم يلتحقون في جزء من يومهم الدراسي ببرامج تعليم اللغة الإنجليزية وهذا البرنامج يشجع انتشار اللغة الإنجليزية بطريق غير مباشر من خلال المدارس ووسائل الإعلام ويلقى هذا النموذج تشجيعاً من الولايات المتحدة أيضاً وتعتبر اللغة الثانية لغة إضافية يلجأ إليها المجتمع لتعدد اللغات فيه، كما هو الحال في الهند ونيجيريا مثلا وتستخدم اللغة الثانية لغة رسمية في دواوين الحكومة وفي التعليم والتجارة وفي المناسبات الرسمية التي تجمع كل الأقاليم، وهى ضرورة من ضروريات الحياة والتفاهم الاجتماعي وتعتبر الإنجليزية رائدة في هذا المضمار إذ أنها تستخدم لغة ثانية في هذه البلدان بسبب الإرث الاستعماري بالنسبة للدول العربية التي يختلف نظامها التعليمي الرسمي عن النماذج الثلاثة السابقة، فالنموذج المتبع في نظامها التعليمي هو نموذج تعليم اللغة غير العربية

باعتبارها لغة أجنبية، وهي اللغة التي نتعلمها لقراءة المراجع الأجنبية، أو لكي نخاطب أهلها ونتفاهم معهم وننقل عنهم ما وصلوا إليه من تقدم وتكنولوجيا، أو لكي نتعلم علماً معيناً لا يكتب إلا بهذه اللغة مثل علوم الطب والهندسة، وقد نتعلم لغة أجنبية لأغراض خاصة كالسياحة والتجارة والصناعة إلخ ويعمد التربويون إلى التمييز بين تعلم اللغة الثانية واللغة الأجنبية على أساس مقدار اللغة التي يتعرض لها المتعلم ونوعها ، فدارس اللغة الثانية يلتقطها من بيئتها التي تستخدم فيها للتواصل اليومي العادي، بينما يعتمد متعلم اللغة الأجنبية اعتمادا كلياً على عدد محدد من الحصص داخل الصف في المدرسة ويزداد مقدار التعرض في بيئة اللغة الأجنبية أو يقل حسب الفرص المتاحة للمتعلم من حيث استخدام تلك اللغة في تدريس المواد الدراسية الأخرى، وقراءة الأطفال للمواد المكتوبة بتلك اللغة خارج الصف الدراسي، واستماعهم للوسائل المسموعة والمرئية الناطقة بتلك اللغة وفي ضوء ما سبق، يمكن النظر إلى بيئة اللغة الأجنبية كنهج يمتد من جانب إيجابي تتوفر فيه فرص التعرض السالفة الذكر، وتتقلص شيئاً فشيئاً لتنعدم تماماً في الجانب الآخر بحيث ينحصر تعرض الاطفال للغة الأجنبية في حصص معدودة في المدرسة فإذا حاولنا تحديد موقع ظروف تعلم اللغة لإنجليزية في البلاد العربية على هذا النهج، فسيكون في نهاية أو قرب نهاية الجانب السلبي الذي يسميه البيئة الفقيرة للاكتساب حيث لا يتعرض الأطفال للغة الأجنبية خارج الصف الدراسي،وعليه فلا غرابة أن يتحدث المعلمون والمهتمون بأمر التعليم الأجنبي عن ضعف مستوى الأطفال في تلك اللغات خاصة اللغة الإنجليزية.

وقد يصل مستوى هذا الضعف أحياناً إلى درجة أن ينتج الاطفال جملاً عربية بحروف إنجليزية، أو يتحولون من التحدث بالإنجليزية إلى العربية عندما لا تسعفهم حصيلتهم اللغوية، وهناك من يترجم حرفياً من العربية إلى الإنجليزية وتظهر آثار اللغة الأم في اللغة الأجنبية كنتاج طبيعي لعدم الكفاءة في الأخيرة فليس اللجوء إلى اللغة الأم سوى استراتيجية تعويضية، وما كثرة الأخطاء الناجمة عن تلك الاستراتيجية إلا مؤشر لعدم الكفاءة في ويرجع تدهور المستوى في اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية لعدة عوامل أخرى منها دافعية الاطفال وطرائق التدريس والمواد الدراسية وطبيعة الامتحانات ومستوى كفاءة المدرسين في اللغة المستهدفة .

وتعددت الدراسات والآراء التي تعارض إدخال اللغات الأجنبية في مناهج الدراسة الأولية، إذ يؤكد المعارضون على التأثير السلبي لتعلم اللغة الأجنبية في مرحلة الطفولة على اللغة الأم ومكانتها، لأن الازدواج في تعليم اللغة في هذه المرحلة غالباً ما يكون على حساب اللغة الأم، ويستندون إلى حجج وأدلة مستمدة من علم النفس التربوي والتطبيقات العملية والظروف المالية والإدارية للتعلم .

ولقد كان تعليم اللغات من اختصاص اللغويين دون غيرهم، إلاّ أن الدراسات التربوية والنفسية الحديثة فسحت المجال لعلماء النفس وأخصائيي التربية وغيرهم ممن اهتموا بدراسة النمو العام للطفل وعلاقته بعمليات النمو اللغوي وسيكولوجية التعلم- للبحث في مجال تعليم اللغات الأمر الذي أفضى إلى بروز نظريات حديثة تؤكد أن اللغة سلوك لفظي يمكن تعلمه عن طريق استثارة رغبة المتعلم كي يسلك هذا السلوك،وهى عبارة عن مجموعة متكاملة من الأنظمة والأصوات والتراكيب والأنماط تختلف عن مكونات غيرها من اللغات، إلاّ أن السن التي يجب أن يستثار عندها الطفل لتعلم لغة أجنبية بقيت قضية تثير كثيراً من الجدل وانقسم حولها المهتمون بها إلى عدة اتجاهات:

أ- إتجاه مؤيد يعلل المؤيدون دعوتهم إلى البدء بتعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة بكون الطفل في هذه المرحلة أقدر على اكتساب أكثر من لغة دون أن يؤثر ذلك على لغته الأصلية والسر في ذلك أن تكوين الطفل ونضجه العقلي في هذه المرحلة لا يرقى إلى عمليات التحليل والبحث، إذ لم تتجمع لديه بعد أدوات التحليل والمناقشة والفهم والنقد فهو يكتفي في هذه المرحلة بتلقي المفردات والمبادئ البسيطة ويقوم بحفظها دون تحليلها، يعتقدون أن تعلم لغة أجنبية لا يشكل تهديداً لتعلم الطفل لغته الأصلية.

ويؤكد محمد زياد حمدان أن التعليم الاجنبي للطفل في وقت مبكر جنباً إلى جنب مع اللغة الأم يفيد في تنمية الإدراك والإبداع الفكري لدى الطفل، ولا يشكل أي خطورة على نمو مهارات اللغة الأم لديه، بل يؤدي على عكس ذلك إلى ازدياد الطلاقة اللغوية لديه وقدرات الابتكار الخاصة باستعمالات اللغة الأم تفكيراً ولفظا وكتابة أما عالم اللسانيات الأمريكي ليونارد بلومفيلد فيقول : إن أحسن سن للبدء في تعلم لغة أجنبية هي بين سن العاشرة والثانية عشر؛ فإذا تم البدء في تعلم اللغة قبل ذلك فإن العملية التعليمية غالباً ما تكون بطيئة وغير مجدية أمّا إذا تم البدء في تعلم لغة أجنبية عند المرحلة المذكورة ،فبإمكان الطفل تعلم لغات أجنبية أخرى في مراحل لاحقة فالطفل يكتسب خبرة من خلال تعلمه اللغة الأجنبية الأولى ويقوم باستعمال هذه الخبرات لتعلم لغات أجنبية أخرى فيما بعد.

ب – إتجاه معارض:

والإتجاه الآخر يرى عكس ذلك حيث تقول الدكتورة هويدا فتحي بكلية رياض الأطفال بجامعة حلوان: يجب عدم تعريض الأطفال لأي لغة أجنبية في سن مبكرة ، فالدراسات الدولية والمحلية في الماضي والحاضر أثبتت تفوق معدلات التحصيل الدراسي وارتفاعه لمن يدرسون بلغتهم الأم، على أقرانهم الدارسين بلغة أجنبية فالنمو اللغوي ضرورة لتنمية ذكاء الطفل، فالطفل لديه خمسين ألف دائرة عصبية عند الميلاد خاصة بنمو لغة واحدة وتعلمها، فإذا دخل للطفل لغتان على عقله يحدث له اضطراب ولا مانع من تعلم لغة أجنبية، لكن بعد إتقان اللغة الأم قراءة وكتابة، فبعض حالات التلعثم وتأخر الكلام في عيادات التخاطب تنتج عن تعلمهم للغة أجنبية في سن مبكرة ولا بد أن نعترف أيضا أننا أمام أهداف وأغراض سياسية لا يمكن أن نتجاهلها حتى وإن تسترت وراء المدارس والجامعات والمناهج التعليمية وأننا أمام عالم يحاول أن يفرض ثقافة واحدة فى ظل منظومة العولمة، ومحاولة دءوبة لطمس هوية الشعوب أمام حلم استعماري.

ويحتج معارضوا البدء في تعليم اللغة الأجنبية في سن مبكرة بوجود تأثيرات سلبية على تعلم اللغة الأصلية، فبعض الدراسات يشير إلى أن تعليم اللغة الأجنبية في المراحل الدراسية الأولى يمكنه التسبب في إهمال اللغة الأصلية، أو يؤدي إلى تداخل لغوي في ذهن الطفل وتعد سوريا أول الدول العربية التي قررت إلغاء تدريس اللغات الأجنبية من مناهج التعليم الاساس بحجة أن تدريس لغة أجنبية في هذه المرحلة التعليمية يعيق تحصيل الطفل لغته الأم

وهناك دراسة أخرى كويتية أجريت على عينات من الاطفال دارسي العربية والانجليزية معا وتمحورت حول أثر إدخال اللغة الانجليزية في مناهج التعليم الاساس على اللغة العربية أثبتت أن مهارات بعض الأطفال في لغتهم الأصلية اللغة العربية قد تدنت مع الإشارة إلى أن البحث اختار بشكل عشوائي عينتين متكافئتين من الاطفال، شملت المجموعة الأولى أطفالاً درسوا حتى الصف الثالث من مرحلة التعليم الأساسى دون التعرض إلى اللغة الأجنبية أي الانجليزية ، فيما شملت المجموعة الثانية أطفالاً درسوا اللغة الانجليزية منذ السنة الأولى من مرحلة تعليم الأساس إلى السنة الثالثة منه وبعد المقارنة وتحليل النتائج، أظهر البحث أن الأطفال الذين لم يدرسوا اللغة الانجليزية بجانب اللغة العربية تفوقوا في تحصيلهم في مقرر اللغة العربية وكان الفرق بين تحصيل المجموعتين ذا دلالة إحصائية إذ أنه شمل جميع مهارات اللغة العربية مثل القراءة، الكتابة، القواعد والمفردات وتدن تحصيل جميع تلك المهارات لدى المجموعة الثانية أما بخصوص التداخل اللغوي، فأكد البحث هذه الظاهرة على أكثر من مستوى، فعلى مستوى التداخل الصوتي أكد ٣٥ %من المعلمين أن نطق الاطفال أصبح أسوأ مما كان عليه قبل إدخال اللغة الانجليزية بالاضافة إلى ذلك يقول عالم اللسانيات جون شومسكي إن البرامج التعليمية التي تتبنى أسلوب التعليم باللغة الأم ثم بلغة ثانية أجنبية فيما بعد قد أثبتت نجاحاً ملحوظاً في العديد من مناطق العالم كما أنها حققت نتائج إيجابية هامة

لأنها تقلل من آثار الصدمة الثقافية التي يتعرض لها الطفل عند دخوله المدرسة، وتقوى إحساسه بقيمته الذاتية وشعوره بهويته، وترفع من إحساسه بإنجازه على المستوى الأكاديمي، كما أنها تساعده في توظيف المهارات التي اكتسبها باللغة الأم في تعلم اللغة الثانية ويرى آخرون أنه من الثابت علمياً أن المتعلمين الأكبر سنا أفضل من حيث معدل سرعة تعلم اللغة الأجنبية وتحصيلها النهائي ، بينما الصغار يتفوقون في نمو النظام الصوتي فقط أي صحة النطق غير أنه مشروط بضرورة الدراسة في بيئة لغوية أصلية حيث يستمع الطفل إلى اللغة من متحدثيها الأصليين ويمارسها معهم

وتفيد البحوث أيضا أن المراهقة المبكرة هي أفضل عمر لتعلم اللغة الأجنبية سواء من حيث سرعة التعلم أو التحصيل النهائي تدل على ذلك نتيجة البحث الذي شمل أطفالا كنديين انجليزيي اللسان، تتراوح أعمارهم بين ١٢ و١٣ سنة، كانوا يتابعون برامج للانغماس اللغوي متقدمة في تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية، وهو البحث الذي أفاد بأن هؤلاء الأطفال قد أجادوا تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية بالمستوى نفسه الذي كان عليه أطفال المجموعة الثانية من ذوي الخلفية اللغوية نفسها الذين كانوا في برامج انغماس مبكرة في تعلم الفرنسية كلغة أجنبية ومن شرعوا في تعلم اللغة الأجنبية في مرحلة الحضانة، وتلقنوها بحجم يساوي ضعف الحجم الذي استفاد منه أطفال البرامج المتقدمة ومن هنا تبين أن الاعتقاد الشائع بأن الأطفال أكثر قدرة على تعلم اللغة الأجنبية من الكبار تبني على ملاحظات خاطئة

إذاً فمسألة تفوق الأطفال في التعلم لا تمس إلا الذاكرة الحركية هذه الحقيقة التي يؤكدها خبير من خبراء اللغة في أمريكا د دوجلاس براون، حيث يقول في كتابه مبادئ تعلم وتعليم اللغة ما نعرفه حق المعرفة هو أن الأطفال والكبار على حد سواء لديهم القدرة على اكتساب اللغة الثانية في أي مرحلة من العمر ويرى فريق أخر من الباحثين في الدول العربية أن قرار إدخال اللغة الأجنبية الانجليزية لأطفال مرحلة التعليم الأساسي يؤدي إلى مزاحمة اللغة الأم العربية التي مازالت تعاني قلة استيعاب الاطفال لها وضعف مستواهم فيها خلال هذه المرحلة الأولى من التعليم ويستند هؤلاء لما قررته نتائج بعض البحوث العلمية من خطر تعليم اللغة الأجنبية المبكر على اللغة الأصلية، التي تؤكد في الوقت ذاته أن النجاح في تعلم اللغة الأجنبية لا يعتمد على العمر وحده، إنما يتأثر بعوامل شتى منها أهداف تعليم اللغة الأجنبية واستراتيجيات التعليم،والسن التي يبدأ عندها التعليم فضلاً عن دافعية المتعلمين ومن بين هذه الدراسات البحث الذي أجري فى جامعة الزقازيق بمصر حول نوع التأثير الذي يحدثه التبكير بتعليم لغة أجنبية على مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأصلية، الذي توصل إلى أن مستوى النمو اللغوي في لغة الطفل الأصلية يتأخر لدى الأطفال الذين يدرسون لغات أجنبية في سن مبكرة عن أقرانهم الذين لا يدرسون لغات أجنبية زيادة على ذلك، أجريت دراسة عام ١٩٩٨ لمعرفة ايجابيات وسلبيات تعليم اللغة الأجنبية فى مرحلة التعليم الأساس خلصت إلى أن أنسب صف لتعليم اللغة الأجنبية هو الصف الرابع الأبتدائى

بعد أن يكون الطفل قد تمكن من مهارات تعلم لغته الأم وفي عام ٢٠٠٣ نشرت دراسة في مجلة التربية جامعة أسيوط حول أثر الازدواج اللغوي على اكتساب أطفال مرحلة التعليم الأساسى لمهارات اللغة العربية وتحصيلهم اللغوي، وقد توصلت إلى أن ثنائية اللغة تؤثر بالسلب على المهارات اللغوية لدى الطفل وأجريت دراسات علمية بجامعة أكسفوردعن أثر العمر في تعليم لغة أجنبية خلصت إلى أن السن التي يشرع في تعلم اللغة الأجنبية فيها ليست عاملاً حاسماً في تعلمها، وأن الفروق التي وجدت بين متعلمي اللغة في أعمار مختلفة ليست نتيجة لعامل العمر، كما أن السن التي يبدأ فيها بتعليم اللغة الأجنبية يؤثر سلباً على التحصيل، و أكثر من ذلك كله أن تعلم الطفل لغة أجنبية في هذه السن المبكرة يكون له أثره السلبي على اللغة الأم ويعتبر عالم اللغة **مستر ويست** من أول الرافضين للتعليم الأجنبي فى ىسن مبكرة، يليه من العالم العربي عبد العزيز القوصي، مدير مركز اليونسكو للتربية في بيروت خلال الخمسينات، الذي طالب بإلغاء اللغة الأجنبية من مناهج مرحلة التعليم الأساسى في الدول العربية، وكان ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى إلغائها فعلاً في مصر بعد يوليو ١٩٥٢م، كما سانده الرأي المربي العربي الكبير ساطع الحصري في قوله إن تعليم اللغة الأجنبية في مدارس الأساسى أمر يضر بمصلحة الطفل ويعرقل نموه الفكري ويحد منه، ويسوق الرافضون حججاً كثيرة لتعزيز وجهة نظرهم، وفيما يلي أبرزها:

١ إن الكبـار أقدر على تعلم اللغة الأجنبية من الأطفال.

٢ إن تعلـم لغة ثانيـة عمليـة معقدة جداً تشترك فيها جميع قوى الطفل العقلية والنفسية والعضلية والعاطفية، وهي لاريب عملية مرهقة لصغار الأطفال، فالأطفال العـرب يتعلمون فعلاً لغة ثانية هي اللغة العربية الفصحى .

٣ تمثـل مرحلة الحضانـة ورياض الأطفـال ٣-٦ سنوات في علم النفس مرحلة الطفولـة المبكرة، حيث يكـون الأطفال فيها أكثر حاجة لتعلم لغتهم العربية الأصلية، والتمكن من أولياتهـا نطقاً وكلاماً ومخاطبةً وقدرة على التعبير اللغوي الصحيح، وما يرتبط بذلك من تدريب لعضلات اللسان والحبال الصوتية في بداية نموها وإذا ما أضيفت لغة أجنبية أخرى ليتعلمها الطفل إلى جانب اللغة العربية فإنها سوف تعرقل تقدمه في تعلم لغته الأصلية.

٥ إن النظام السطحي للجملة العربية يخضع لاعتبارات تنظيمية عدة تتعلق بنهايات الكلمات، وهذا بدوره يختلف عن الجملة الإنجليزية التي تعتمد على ترتيب المفردات والوحدات ترتيباً أفقياً.

٦ إن تدريس اللغـة الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي سيزاحم مناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية التي تشكل غالبية المناهج في تلك المرحلة، إذ أن الوقت المخصص لدراسة اللغة الأجنبية سيكون على حساب تلك المواد الأساسية.

٧ إن إدخـال اللغة الأجنبية في مرحلة التعليم الأساسي يزيد من الهالـة التي رسمت في عقول كثير من الآباء حول أهمية اللغة الإنجليزية، واقتران تعلمها بالمستقبل الجيد، وما إلى ذلك من أوهـام .

٨ تدعـو بعض الدراسـات المختصة إلى تدريس اللغة عبر ثقافة اللغة المستهدفة وثقافة الناطقـين بها .

٩ إن إدخـال اللغة الأجنبية في سن مبكرة يزيد من أزمة النقص في مدرسي هذه اللغة، وما يترتب عليها من مشكلات.

<u>اعتقادات شائعة:</u>

لدى أولياء الأمور عن السن المناسب لاكتساب اللغة الأجنبية:

١. آراء الآباء في السن المناسب للبدء في تعليم اللغة الإنجليزية: وفى دراسة موسعة على بعض أولياء الأمور تبين أنه يعتقد ٧٠% من الآباء أن السن المناسب للبدء في تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال هو مرحلة الروضة أي قبل سن السادسة، في حين يرى ١٠% من الآباء أن السن المناسب لذلك هو الصف الأول الابتدائي ،ويرى ١٥% أن السن المناسب هو الصف الرابع الابتدائي في حين يرى ٥% أن السن المناسب هو الصف الأول الاعدادى .

٢. مبررات تعليم اللغة الإنجليزية في سن مبكر من وجهة نظر أولياء الأمور أولياء الأمور:

يرون أن تعليم اللغة الإنجليزية للأطفال أصبح ضرورة لأننا نعيش في عصر أصبح العالم فيه قرية صغيرة، واللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، ولأن اللغة الإنجليزية أصبحت من ضروريات الحياة ومتطلبات العصر، وهي لغة الكمبيوتر والتلفاز ووسائل الاتصال وكل شيء نرغب في الإطلاع عليه مكتوب باللغة الإنجليزية ويرى بعضهم أن اللغة الإنجليزية مفيدة أكثر من اللغة العربية لأنها تتيح لمن يعرفها فرصاً أفضل ومجالات أوسع وأشار الكثير من أفراد العينة إلى أن معرفة اللغة الإنجليزية من متطلبات النجاح في الحياة فالطالب الذي يتقن اللغة الإنجليزية مستقبله أفضل من الطالب الذي لا يتقنها، وتكون الحياة عليه أسهل.

ويعتقد الكثير من الآباء أن اللغة الإنجليزية تحتاج إلى تعليم ودراسة لأننا لا نمارسها في المنزل، وإذا لم يتعلمها الأطفال منذ الصغر سيصعب تعلمها في الكبر ويمكن أن ينسوها لذا يجب أن يعتادوا استخدامها منذ الصغر، حتى يشعروا بأهميتها وتعليم اللغة الإنجليزية للأطفال منذ الصغر سوف يعزز ثقتهم في أنفسهم.

اعتقادات شائعة حول العلاقة بين تعلم اللغة الأجنبية والسن :

يعتقد الكثير من الآباء أن السن هو العامل الرئيس في تعلم اللغة الأجنبية وأن لدى الأطفال قدرة خارقة على اكتساب لغة جديدة بسرعة وبمجهود قليل، في حين يجد الكثير من الأطفال الأكبر سناً والراشدين صعوبة في ذلك.

اعتقاد أن تعلم اللغة الإنجليزية في الصغر لا يؤثر سلبا على تعلم اللغة العربية: تعتقد نسبة كبيرة من أفراد العينة في هذه الدراسة أن تعلم اللغة الإنجليزية في سن مبكر لن يؤثر سلباً على تعلم الطفل الصغير للغة العربية مثل الخلط بين اللغتين العربية والإنجليزية أثناء الحديث،والاستخدام الخاطئ لقواعد اللغة الأم،والخلط بين المذكر والمؤنث،وتخفيف الزوائد الصرفية في أواخر الكلمات العربية،وعدم القدرة على نطق الأصوات العربية كالعين والضاد والقاف والغين،الخلط في اتجاه الكتابة، وفي كتابة الأحرف والكلمات الإنجليزية والعربية ،والميل إلى استخدام اللغة الأجنبية بدلا من اللغة الأم ، ونسيان اللغة الأم بالتدريج.

<u>أهداف نشر التعليم الأجنبى بين المسلمين:</u>

من معجزات النبوة الظاهرة، وآثارها الباهرة، الحديث المتفق على صحته كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ومن مآثر علماء المسلمين المشكورة، العمل على تلقين عامتهم وأولادهم هذا الحديث، وقاية لهم في فطرتهم ودينهم، وحماية لهم من الضلال لذا صار حقاً أن احتضان الصغار وتعليمهم قبل تشكلهم بالإسلام علماً وعملاً، هو البيئة الخصبة للقاح الأول في توجيههم نحو الخير أو الشر؛ ولهذا استعمل المنصرون من عباد الصليب وغيرهم من أرباب الكفر هذه الخاصية فعملوا عملهم بالاستعمار العقلي والفكري والثقافي والعقدي في العالم الإسلامي، وسعوا جادّين إلى فتح المدارس الاستعمارية في بلاد المسلمين، وزرعها هنا وهناك فى أرض الإسلام لنشر حقدهم الأسود لإفساد العقائد والعقول، بداية من رياض الأطفال إلى نهاية التعليم الجامعي، أوكاراً ومصايد يتصيدون بها من ضعفت عقولهم، أو مرجت عهودهم، أو من عضّهم الفقر بنابه، أو من أوقعهم سوء حظهم في قبضة هؤلاء الضالين كل هذا لغاية الغايات لديهم تحويل المسلمين بردّة شاملة عن دينهم الحق:الإسلام ولو لم يكن من مساوئها: إلا تقليب النظر من أولاد المسلمين في وجوه الكافرين من المدرسين والإداريين، والتلاميذ والأمة الإسلامية هي الأسوة الحسنة لأهل الأرض،

فإذا ما داخلها التعليم الأجنبي عنها، فسيصيبها غربة في دينها، وغياب في أخلاقها، ولغتها، وآدابها، واحتقار لتاريخها في ماضيها وحاضرها، وانشطار في وحدتها وآليات حياتها، وفرقة بعد اجتماع، وخلاف بعد وفاق وتَسَلُّم قيادتها من جيل جديد، هو على الأقل:مسلم بالاسم، وعقد النكاح، وتسجيل المواليد، أجنبي في اللسان، والذوق، والرأي، والتفكير، يسهم في قتل روح أمته وطمس جوهرها.

ألا إن هذه الموجة الطاغية التي أجتالت العالم الإسلامي جلب: التعليم الأجنبي لتثقيف ناشئتها هي في الحقيقة مؤامرة على الدين والأخلاق والمروؤات واللغة والتاريخ، فلعنة الله على الظالمين الذين يبغونها عوجاً وبالآخرة هم كافرون واليوم أقبلت أمم الكفر على فتح هذه البيوت المظلمة المدارس الاستعمارية في قلب بلاد العرب قائمة على تعصب ديني وتثقيف قومي في اللسان والتاريخ، فكل مدرسة تُعنى بدين بلادها، ولغتها، وتاريخها، ومقومات حياتها، تلقنها طلاب مدارسها،وتسعى بواسطتهم لنشرها بين أهليهم وهذه بالطبع تفضي إلى آثار مدمرة في: اللغة، والتاريخ، والدين أما في اللغة: فهذه المدارس المظلمة مِهادٌ لنشر التثقيف القومي بلسانها ولغتها، ولضرب الحصار الثقافي اللغوي على عقلية الجيل المسلم باستعمار لسانه بالرطانة الأعجمية، ومعلوم أن كل لغة تحمل فكر الناطقين بها، ففي تغليب اللغة الأجنبية على اللغة العربية لتدريس المواد، بثٌّ للفكر الأجنبي في عقول الناشئة، وهذا يفضي إلى الآثار الآتية:

١ إن فرض اللغة الأجنبية لتعليم المواد الدراسية، هو في حد ذاته اقتحام للحصن الإسلامي اللغة العربية بإبعاد مظهرها شعاراً لأهل الإسلام، وحجبها عن لسان الناشئة، وكم في هذا من إضعافها وتبغيضها في نفوسهم؛ بل عزل لهم عن إسلامهم، فإنه إذا حيل بين المسلم ولغته لغة القرآن، تم عزله بطبيعة الحال عن إسلامه وأمجاده، وحضارته، وأول ما ينزع منه اعتقاده في كتاب ربه القرآن العظيم .

٢- نتيجة لتدريس المواد بغير العربية، يتكون لدى الطالب عقدة الإحساس المعمق بقصور لغته عن تدريس العلوم الحديثة، ثم قطع صلة هذه العلوم بالإسلام ولغته العربية.

٣- ثم أنفة الشباب المسلم من لغتهم وآدابها، وزهدهم فيها حتى لا يعلموا منها إلا ما يعلمه العامي منها، وهذا سبب فعّال في تدهور اللغة العربية وحجب شيوعها واستعمالها.

٤- ومن الآثار وجود استعداد تام لدى عامة هذا النشأ المسلم إن كان بقي له شيء من إسلامه الذي تربّى في هذه المدارس الأجنبية بتصويب السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، وأصبحت عنده حساسية مفرطة ضد من يخطئ في اللغة الأجنبية التي تلقنها،وهذا الوضع المزري ينتقل بالطبع إلى كل ما هو مكتوب باللغة العربية وأعظم ذلك القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين، فلا يحسن قراءته فضلاً عن فهمه وتدبره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- في: اقتضاء الصراط المستقيم: (ص/٣٠٦-٣٠٧): واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، واللغة، والدين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل، والدين، والخلق وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، وفهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية.

الباب الرابع

الوسائل والمخططات

☆☆☆

لماذا تحارب اللغة العربية؟

لا ينكر أحد فضل اللغة الأم في توقد الإبداع والإبتكار والدول المتقدمة تدافع عن لغتها الأم بشراسة وقوة وتضع القوانين اللازمة للمحافظة عليها ولا تتهاون في تطبيقها واللغة العربية ليست لغة أم فحسب بل هي لغة الأمة العربية والرباط بين دولها ولغة الأمة الإسلامية ولغة الدين الإسلامي لذلك يتطلب الحفاظ عليها قوة مضاعفة عن غيرها من اللغات والحرب علي اللغة العربية شرسة ومخططة لأهداف منها:-

١١ - القضاء علي الدين الإسلامي الذي هو مصدر القوة والمقاومة للعرب.

١٢ - فصم عرى الوحدة القومية بين أقطار الأمة العربية ،باعتبار اللغة الفصحى العامل الأساسي في وجود الشخصية القومية وفي بقائها،حتى يمكن استعباد العرب جميعًا بعد أن تذهب قوتهم الكامنة في اتحادهم وتكاتفهم وتضامنهم .

١٣ - القضاء على الثقافة العربية بفصل الأجيال العربية الجديدة عن تراثهم الثقافي المدون بالحروف العربية التي يراد استبدالها أيضا بحروف لاتينية وحدوث كارثة من عدم انتفاع معظم المتعلمين من الأجيال العربية الصاعدة من هذا التراث.

١٤- حدوث بلبلة فكرية ، واضطراب ثقافي واجتماعي خطير للغاية وتقليص القدرة على الإبداع.

ومما تواجهه الأمة العربية دا خليا محاربة اللغة في عقر دارها فاللغة العربية اليوم تعيش واقعاً مراً؛ فهي بين مستهين بشأنها، غير آبه بالدقة والصحة في استخدامها لغة للتعبير والاتصال، وداع إلى نبذها، واستبدال اللغة الأجنبية بها في التدريس والتأليف، حتى في المستويات الأولى من التعليم، مدعيا أنها عاجزة عن مواكبة العلم والتكنولوجيا، والاستجابة لما يحدث فيهما من تطور متسارع، ومناد بضرورة استخدام العامي لغة للإعلام والإنتاج الأدبي زاعماً أنها الوسيلة الأنجح في مخاطبة الجماهير، والوصول إلى عقولهم وقلوبهم ولقد نجحت الرواسب الاستعمارية في وضع جذور في التعليم تنفر من اللغة العربية وتهون من شأنها حتى هانت على أهلها وأصبحت عبئًا عليهم فقد ترك ذيولاً من أبناء العربية ينهجون نهجه في الحملة الحاقدة على العربية والنيل من قدرتها والتقليل من قدْرها ، ومن هؤلاء في أواسط القرن العشرين ،لطفي السيد وسلامه موسى وعبد العزيز فهمي في مصر، والخوري مارون عصن في سوريا وغيرهم كثير،وكانوا يدعون لاستخدام العامية بدلاً من العربية في التعبير والنطق واستعمال الحروف اللاتينية فى كتابتها والمجتمع الناطق بالعربية لا يدري أن لغته الأم طوق النجاة الوحيد وسبيله للابتكار والإنتاج والإبداع كما كان في القدم وهو لا يدري أنه بتخليه عنها يفقد قدراته وإمكانياته وهذا ما يحدث فعلاً.

ان محنة العربية لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة إليها من عالم الحضارة إلى عالمها الذي يبدو متخلفًا ،ليس ذلك فحسب،بل إن محنتها في انهزام أبنائها نفسيًا واستسلامهم أمام الزحف اللغوي الداهم ،في مجال العلوم والرياضيات، بحيث تكونت في العالم العربى جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن هذه المجالات، قانعة بعلاقة هشة مع لغة الحضارة، فما دامت صفوة المشتغلين بالعلوم تعرف الإنجليزية فلا باس من عزل العربية بل وقتلها وأدى ادعاء الذين بأيديهم الأمر وكبار أصحاب الأقلام والمراكز الإدارية والثقافية في بلادنا بأن اللغة العربية أصبحت لغة الشعر والأدب والتعبير عن خلجات النفس ،وإلى تصور أنها ليس لديها القدرة على مسايرة ركب الحضارة الحديثة وعلى استيعاب مصطلحاتها ، ومن هنا فلابد للطالب العربي أن يتلقى دروسه بلسان أجنبي ، أدى ذلك إلى تدهور اللغة العربية في عقر دارها ومن ثم أصبح التعليم الجامعي يعاني قصورًا في استخدام اللغات الأجنبية أيضًا مما ينعكس انعكاسًا سلبيًا على إبداع وإنتاج أي إنتاج نفخر به على المستوى المحلي والعالمي.ومما يساهم فى تعزيز الحرب على اللغة العربية ما يلى:

انصياع جامعة الأزهر لضغوط العصر بدلاً من محاربتها:-

يقال إن من أهم العوامل التي ساعدت على الاحتفاظ باللغة العربية في مصر وجود الأزهر بها لأن الأزهر كان منارة العلوم اللغوية والإسلامية بمصر والعالم الإسلامي لكن للأسف بدلاً من محاربة الأزهر لتعليم وانتشار اللغات الأجنبية بصورة تستهدف القضاء على العربية، انطلق ،و كأنه يدعم ذلك، في إنشاء مدارس اللغات الأزهرية بعد أن أجاز التدريس باللغات الأجنبية في جامعاته ومن فطاحل علماء الأزهر أناس درسوا العربية وحفظوا القرآن ولم يدرسوا اللغات الأجنبية إلا في مراحل متقدمة وبالرغم من ذلك أجادوا اللغات الأجنبية وأبدعوا لدرجة أن قام الشيخ رفاعة الطهطاوي وتلاميذه في عصر محمد علي بترجمة أكثر من ألف وأربعمائة كتاب من اللغات الأجنبية للغة العربية في فترة وجيزة فكان الأجدر بالأزهر الحفاظ على اللغة وصد هذا الغزو الدخيل إليه وإلينا.

انغلاق اللغويين العرب على أنفسهم:-

إن علم اللغة للآن ما زال قاصرًا على دارسيه وأصبح كثير من المتعلمين و المثقفين لا يعرفون شيئًا عن علوم اللغة وقواعدها وأصولها كما بدت كتابات اللغويين وقفًا عليهم قراءة وفهمًا وأكثر اللغويين يوجه اهتمامه لدراسة أساليب بعض الشعراء والكتاب القدامى ويركز على تأثيرهم وتأثرهم باللغة قديمًا ومع عدم الاعتراض على هذا لأننا لسنا من أهل هذا المجال ونترك التقييم للمتخصصين إلا أن الأولى بهؤلاء دراسة التراث اللغوي بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث و الاطلاع على الدراسات اللغوية الحديثة أيضًا

للآسف لم يستطع أرباب اللغة سوى رفع شعارات ضد التطور ومحاولات الرقي باللغة ولم يقدموا لرجال العلوم المختلفة ما يشبع رغباتهم وبسرعة تجري مع معدل الاكتشافات وما تأتي به الاختراعات وما يتناقل عبر شبكات الاتصالات من مصطلحات ومعلومات تخدم اللغة وذويها إن عُربت مع قدرة اللغة العربية على استيعاب جميع المصطلحات بل يقال أنها تبني جميع ألفاظ لغات العالم إن إنتاج اللغويين العرب مازال ضعيفًا لا يتناسب مع منتجات اللغويات في البلدان ذات الثقافة والفكر ويرجع ذلك إلى ما يلى:-

[أ] عدم إلمامهم بتكنولوجيا اللغة وهندستها والنظريات الحديثة في هذا المجال حتى إن بعضهم حاول تنظير اللغة العربية نفسها ،عدم إلمامهم بما يتناقل عبر شبكات الاتصالات من منتجات التطور السريع سواء أكانت مصطلحات لفظية أم مصطلحات علمية أم مترجمات أم معربات تخدم اللغة وتدعمها .

[ب] عدم استخدام الوسائل الحديثة مثل المختبرات اللغوية والأشرطة المسجلة والمصورة ولوحات التوضيح الملونة وألعاب الفيديو والحاسب ومواقع الانترنت المتميزة .

[ت] قيود الجمود التي تحارب كل جديد وتشجبه بدلاً من البحث في صحته وتأييده أو محاولة تصحيحه مما يثبط عزم شباب اللغويين عن البحث عن جديد والاكتفاء بالحدود القديمة طمعا في الحصول على الدرجات العلمية وهربا من خوض حروب غير متكافئة، غير أن هذا الاتجاه قد بدأ في الظهور ولكنه يحبو ببطء وحذر شديدين.

[ث] تحول الأعمال اللغوية لسلعة إنتاجية من خلال هيئات خاصة وتحت ظروف الحياة الحالية أصبح هدف الأبحاث اللغوية ماديًا في المقام الأول

حرب اللغة العربية في بلادها

فالهجمات الأجنبية الشرسة ليست مجرد محاربة للغة العربية ومحاولة إحلالها بلغة أجنبية فقط بل تهدف لفض عرى الوحدة الوطنية والإسلامية وإضعاف الكيان الفكري والثقافي والحضاري العربي فحرب اللغة حرب سياسية جغرافية معلوماتية بكل الأشكال والأنواع وما حدث في تركيا خير مثال على ذلك فقد نجحت الأتاتوركية في تحويل الحروف العربية التى تكتب بها التركية إلى حروف اللغة اللاتينية ، فهل أدى إلى ما كان يرنو إليه كمال أتورك وأتباعه من نهوض وتقدم وتحضر؟ الجواب لا ، فالدولة لا تزال من الدول التابعة حضاريًا للتكنولوجيا الغربية، والذي حدث هو إبعاد اللغة عن متناول الفرد التركي،

وعجزه عن قراءة القرآن إذن فهي حملة تهدف إلى سلخ الفرد التركي عن دينه وإبعاده عن دستور ربه بإبعاده عن لغة القرآن ،أضف إلى ذلك سلخه من الكيان العربي الإسلامي وتقليص حجم هذا الكيان لخطورة وحدته وحضارته المرتقبة إذا عاد لسالف عهده من الترابط والنهضة والعزم على الرقي وهنا نحس باللمسات الغربية وراء كل تفكك ودعوة مستترة، للتخلف مثل دعوة استخدام العامية وغيرها .

<u>حملات التغريب الحاقدة ومحاولات القضاء على اللغة العربية:-</u>

هناك محاولات هدفها التغريب والغزو الثقافي ومحاولة احتواء الفكر العربي والسيطرة عليه بفكر وافد هذه الهيئات ليست هيئات ملموسة مادية لكنها تدرك بالفكر الواعي والناضج الذي يستطيع إدراك ما يحاك به من مؤامرات وهنا يأتي دور الفئة الواعية المثقفة ومسؤليتها التي يجب أن تحملها على عاتقها ويجب أن نتصدى لهذه المحاولات بفضحها ومقاومتها وتوعية البسطاء وتقييد المنتفعين بها فالتغريب لم يعد موضع شك أو تساؤل بل إن مناهجه واضحة ومعروفه وله ممولوه ودعاته ومؤيدوه ومفاهيمه كثيرة أوضحها خلق عقلية جديدة تعي وتفكر وتنتمي للعالم الغربي وفكره وتصوراته ومقاييسه وتحقر كل ما يخالف ذلك من أفكار الأمم والديانات الأخرى.

وأهم أسلحة التغريب تجريد المجتمعات من لغاتها ،إن تجريد المجتمع العربي من لغته هو تجريده من تراثه وأصوله ودينه وعزله عن قوميته وعروبته وانتمائه،وجذبه للغات الأجنبية حتى يفقد الفرد القدرة على الفكر والإبداع التي تمده بها لغته وينقاد فكره وإبداعه لسواها وما ارتباطنا باللغات الأجنبية واستخدام ألفاظها إلا دليل على ارتباطنا الاستهلاكي في المعارف أو المنتجات في جميع المجالات بالغرب الذي يفرض علينا الوضع القائم ومن أهداف التغريب أيضًا أن يجعلنا مستهلكين لمعارف أجنبية وفكر أجنبي ومن ثم منتجات أجنبية فنسمع أغانيهم ونلبس ملابسهم ونستخدمها بلفظها الأجنبي ناهيك عن أسماء المأكولات والمطاعم ودور السينما والأجهزة الحديثة ومدن الترفيه والقرى السياحية وفي النهاية ننقاد إلى منتجاتهم ويصبح انتماؤنا إليهم فنعيش تحت السيطرة الغربية فكرًا واقتصادًا أيضًا لأن كل ما هو محلي سيندثر ويزول إننا بذلك نكون قد وضعنا حول رقابنا قيد عبودية لا خلاص منه وهو ما يُهدف إليه.

حملات تشويه العربية وإلباسها ثوب اللغات الغربية:-

إن مجال تنظير العربية ووضعها في مصاف اللغات العالمية يعتبر مجالاً خطيرًا يلفه الغموض والتحدي مما جعل أرباب اللغة أنفسهم حريصين على الخوض فيه بحرص وبطءٍ شديدين وقد أدى ذلك للأسف إلى تأخر هذا النوع من البحث ومع تقدم التكنولوجيا ورقي الإمكانيات فتح باب التحدي على مصراعيه مما أمد المتحدين بجرأة شديدة جعلتهم لا يهابون الخوض فيه فقطعت أبحاث اللغويات الأجنبية شوطًا طويلاً وارتقت التطبيقات لمستوىً عالٍ مثل الترجمة الآلية ومع جمود أرباب اللغة العرب عن الخوض في هذا المجال تجرأ الغربيون على الخوض فيه غير مدركين أن اللغة العربية لغة شاملة تحتاج لمعاملة خاصة وتتميز بسمات عديدة فحاولوا إلباسها ثوبًا لا يسعها ولا يليق بها هو ثوب الإنجليزية غير مدركين للهوة العميقة التي سعى إليها المستشرق أيفرهارد ديترز أحد هؤلاء حيث حاول وضع نظرية لتحليل النصوص العربية الحديثة.

الحروب المقنعة ضد اللغة العربية وابتداع الفرنكو آراب

مشروع للقضاء على اللغة ولتشويه القرآن الكريم: الفرقان الأمريكي بديلاً للقرآن فقد انتهت الإدارة الأمريكية مؤخراً من إعداد مشروع خطير هدفه تغيير شكل حروف اللغة العربية واستبدال اللغة اللاتينية بها تحت مسمي تحديث الثقافة العربية، واعتباره جزءاً من خطة الإصلاح في المنطقة ضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير ومقدموا المشروع يقولون الهدف من هذا المشروع تحقيق تفاهم أفضل، ولغة مشتركة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى،والأمريكيين والأوربيين متعطشون للوقوف علي أسرار تلك اللغة والعديد من الكتابات الهامة القديمة والحديثة التي نسجت العقل الثقافي العربي والإسلامي وقد بدأ المستعمرون في الدول العربية يضعفونها في أفريقيا مثلا حولوا السواحلية التي يتكلم بها قسم كبير من أفريقيا لتكتب بحروف لاتينية رغم أن جميع الدراسات أكدت أن كتابتها بحروف غير العربية ستضعفها كثيراً إلا أن الهدف وقتها لم يكن إضعاف أو تقوية اللغة السواحلية بقدر ما كان الهدف هو القضاء على اللغة العربية تمهيداً لإضعاف الكيان العربي بالكامل .

مخططات التغريب فى الوطن العربى:-

إن التبعية الفكرية والصناعية والحضارية نوع من التخريب أشد خطورة من السيطرة العسكرية أو التبعية السياسية حيث تهدف مخططات التخريب في الوطن العربي إلى:-

[أ] تعميق التبعية التكنولوجية للدول المصنعة لها.

[ب]الإبقاء على الأمية الثقافية والعلمية على الساحة الكبيرة مما يعكس معدلات الإنتاج ومشاركة الفرد الفعلية.

[ت] تعميق الهوية الحضارية وهز الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى تمزق الإنسان العربي بين حضارته وحضارة الآخرين.

[ث]الحصار الاقتصادي للوطن العربي.

[ج] الامتداد المسلح وتهديد الأمة العربية من خلال ما تملكه إسرائيل من أسلحة نووية.

[ح] تعميق مشكلة الاختيار المستقبلي وتحديد الأولويات.

وكفانا دليلاً على الاتجاهات الفكرية فى هذه الجامعات بعض الإحصاءات التالية:

٧١% من طلاب الجامعات الأجنبية لا يعرفون لون العلم المصري .

٣٨% من طلابها يعتبرون لبس الجلباب من التخلف.

٧٥% من طلابها يتمنون الحصول على الجنسية الأمريكية.

٧٥% من طلابها يرون أن الوجود الأوروبي في مصر كان تنويرًا وليس احتلالاً.

يذهب الخبير التربوي د.عماد حسين إلى إن القائمين على التعليم الأجنبي من الأجانب لم يأتوا إلى بلاد المسلمين أبرياء من الهدف، وبالتالي لابد أن نبحث عن الأهداف التي تركوا بلادهم وأهلهم من أجلها، فلا توجد أعمال خيرية في العلاقات الدولية، لذلك فهناك أهدافاً غير بريئة وراء وجود المدارس الأجنبية في أراضي المسلمين .

والمحتلون أنفسهم اعتبروا سياسات التعليم أحد أهم المحاور التي يجب السيطرة عليها؛لذلك وجدنا دانلوب في مصر يقوم بوضع برامج تخدم إنجلترا، والسلطة الفرنسية في الجزائر منعت التعليم باللغة العربية، وأغلقت كافة المدارس الإسلامية بما يتيح لثقافتها أن تسود.

فالقادمون إلى بلادنا من الغرب يحملون أهدافاً تركوا من أجلها راحتهم وبلادهم، لهذا فقد تفرغوا للقيام برسالة يؤمنون بها، وهي ألا يتكرر مشهد الفتوحات الإسلامية مرة ثانية، سواء ما حدث في العهد الأول من الدولة الإسلامية، أو ما حدث على يد الدولة العثمانية من حصار العواصم الأوروبية تحت راية الإسلام، وبالتالي فهم يهدفون بشكل أساسي إلى تمييع المعاني والعقائد الإسلامية؛ حتى لا يتكرر مثل هذا مرة ثانية؛ ولهذا فإن ما يتوجه إليه الغرب الآن من توجيه قدراته نحو المناهج والمدارس الإسلامية ليس إلا حلقة جديدة في هذا المخطط.

يذهب د محمدي سلامة أستاذ التاريخ إلى أن المدارس الغربية في البلاد العربية والإسلامية مأوى للتنصير والاستعمار معاً، وهي تجعل من نفسها داعية لدين غير دين البلاد، كما تجعل من نفسها حكومة داخل حكومة البلاد، وفي ذلك إهدار للحرية، ومدعاة للفساد.

إن الأمم الحريصة على توحيد كلمتها وآمالها، تصب أبناءها في قالب واحد، حتى يكونوا متفقين متساندين، أما هذه المدارس فتجعل أبناء البلاد شيعاً كل طائفة تصطبغ بصبغة خاصة، وهنا تتضارب الميول، وتتنازع الآمال، ويكون أبناء البلد الواحد،بعضهم أعداء بعض وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى ومن الخطأ أن يُسلِم الوالد ولده إلى مدرسة التنصير لتأخذه عدة سنوات، فتتسلمه ولداً صحيحاً بعقيدته وثقافته ودينه، ثم بعد حين ترده إلى أهله وأمته وبلاده ولداً مزيفاً، ما كان فيه قد أُخِذَ منه، وما أعطيه ففاسد لا جدوى منه ولا منفعة وليس من المعقول ولا من الجائز أن تستورد أمة لها شخصيتها ورسالتها، ولها عقائدها ومناهج حياتها، وطبيعتها ونفسيتها، ولها تاريخها وماضيها، ومحيطها الخاص وظروفها الخاصة، أن تستورد نظاماً تعليمياً من الخارج، ولا أن تكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال، وصياغة العقول إلى أناس مهما بلغوا من البراعة في التدريس، وإتقان اللغات والفنون لا يؤمنون بهذه الأسس والعقائد، ولا يتحمسون لشرحها وتعضيدها.

<u>مخططات التغريب فى الوطن العربى:-</u>

إن التبعية الفكرية والصناعية والحضارية نوع من التخريب أشد خطورة من السيطرة العسكرية أو التبعية السياسية حيث تهدف مخططات التخريب في الوطن العربي إلى:-

[أ] تعميق التبعية التكنولوجية للدول المصنعة لها.

[ب]الإبقاء على الأمية الثقافية والعلمية على الساحة الكبيرة مما يعكس معدلات الإنتاج ومشاركة الفرد الفعلية.

[ت] تعميق الهوية الحضارية وهز الثقة بالنفس، مما يؤدي إلى تمزق الإنسان العربي بين حضارته وحضارة الآخرين.

[ث]الحصار الاقتصادي للوطن العربي.

[ج] الامتداد المسلح وتهديد الأمة العربية من خلال ما تملكه إسرائيل من أسلحة نووية.

[ح] تعميق مشكلة الاختيار المستقبلي وتحديد الأولويات.

وكفانا دليلاً على الاتجاهات الفكرية فى هذه الجامعات بعض الإحصاءات التالية:

٧١% من طلاب الجامعات الأجنبية لا يعرفون لون العلم المصري .

٣٨% من طلابها يعتبرون لبس الجلباب من التخلف.

٧٥% من طلابها يتمنون الحصول على الجنسية الأمريكية.

٧٥% من طلابها يرون أن الوجود الأوروبي في مصر كان تنويرًا وليس احتلالاً.

يذهب الخبير التربوي د.عماد حسين إلى إن القائمين على التعليم الأجنبي من الأجانب لم يأتوا إلى بلاد المسلمين أبرياء من الهدف، وبالتالي لابد أن نبحث عن الأهداف التي تركوا بلادهم وأهلهم من أجلها، فلا توجد أعمال خيرية في العلاقات الدولية، لذلك فهناك أهدافاً غير بريئة وراء وجود المدارس الأجنبية في أراضي المسلمين .

والمحتلون أنفسهم اعتبروا سياسات التعليم أحد أهم المحاور التي يجب السيطرة عليها؛لذلك وجدنا دانلوب في مصر يقوم بوضع برامج تخدم إنجلترا، والسلطة الفرنسية في الجزائر منعت التعليم باللغة العربية، وأغلقت كافة المدارس الإسلامية بما يتيح لثقافتها أن تسود.

فالقادمون إلى بلادنا من الغرب يحملون أهدافاً تركوا من أجلها راحتهم وبلادهم، لهذا فقد تفرغوا للقيام برسالة يؤمنون بها، وهي ألا يتكرر مشهد الفتوحات الإسلامية مرة ثانية، سواء ما حدث في العهد الأول من الدولة الإسلامية، أو ما حدث على يد الدولة العثمانية من حصار العواصم الأوروبية تحت راية الإسلام، وبالتالي فهم يهدفون بشكل أساسي إلى تمييع المعاني والعقائد الإسلامية؛ حتى لا يتكرر مثل هذا مرة ثانية؛ ولهذا فإن ما يتوجه إليه الغرب الآن من توجيه قدراته نحو المناهج والمدارس الإسلامية ليس إلا حلقة جديدة في هذا المخطط.

يذهب د محمدي سلامة أستاذ التاريخ إلى أن المدارس الغربية في البلاد العربية والإسلامية مأوى للتنصير والاستعمار معاً، وهي تجعل من نفسها داعية لدين غير دين البلاد، كما تجعل من نفسها حكومة داخل حكومة البلاد، وفي ذلك إهدار للحرية، ومدعاة للفساد.

إن الأمم الحريصة على توحيد كلمتها وآمالها، تصب أبناءها في قالب واحد، حتى يكونوا متفقين متساندين، أما هذه المدارس فتجعل أبناء البلاد شيعاً كل طائفة تصطبغ بصبغة خاصة، وهنا تتضارب الميول، وتتنازع الآمال، ويكون أبناء البلد الواحد،بعضهم أعداء بعض وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى ومن الخطأ أن يُسلِم الوالد ولده إلى مدرسة التنصير لتأخذه عدة سنوات،

فتتسلمه ولداً صحيحاً بعقيدته وثقافته ودينه، ثم بعد حين ترده إلى أهله وأمته وبلاده ولداً مزيفاً، ما كان فيه قد أُخِذَ منه، وما أعطيه ففاسد لا جدوى منه ولا منفعة وليس من المعقول ولا من الجائز أن تستورد أمة لها شخصيتها ورسالتها، ولها عقائدها ومناهج حياتها، وطبيعتها ونفسيتها، ولها تاريخها وماضيها، ومحيطها الخاص وظروفها الخاصة، أن تستورد نظاماً تعليمياً من الخارج، ولا أن تكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال، وصياغة العقول إلى أناس مهما بلغوا من البراعة في التدريس، وإتقان اللغات والفنون لا يؤمنون بهذه الأسس والعقائد، ولا يتحمسون لشرحها وتعضيدها.

أما عن الوسائل التى يستخدمونها فى القضاء على مكونات الهوية العربية الاسلامية فى مجال تعليم اللغات فمنها :

الأعلام وتأثيره في تدهور استخدام اللغة العربية

لا ينكر أحد تأثير الإعلام على المجتمع ككل وفي جميع نواحى الحياة وبطبيعة الحال كان له تأثير على تدهور استخدام اللغة للأسباب التالية:

[أ] استخدام المذيعون ومقدمي البرامج للغة العربية بطريقة مشوشة تفتقد القواعد والألفاظ الصحيحة بالإضافة إلى ظاهرة التفرنج في الملبس والنطق والثقافة خاصة على القنوات الحديثة والفضائية مع أننا لو لاحظنا غيرنا من القنوات الأخرى لوجدنا اعتزاز كل دولة بلغتها وحضارتها وحرصهم على أن تظهر قنواتهم هويتهم الثقافية والحضارية.

[ب] الصحفيون ونحن في غنى عن ذكر ما للغة الصحافة من أخطاء وعيوب شاعت لدرجة أن ونحن في غنى عن ذكر أن هناك العديد من الرسائل والأبحاث ، عن أصبح التمييز بينها وبين الفصيح صعباً لانتشار الصحف وعدم توفر المصححين اللغويين الأخطاء الشائعة في لغة الصحافة .

[ت] لوثة استعارة عناوين وأسماء إنجليزية الأصل ، تكتب بالأحرف اللاتينية أو العربية ، وإعلانات باللغة الإنجليزية في الصحف العربية ، وأخطاء نحوية مفجعة في عناوين الصحف الكبرى، وأحاديث أهل العلم ناهيك عن السياسة، إلى عامية مبتذلة تكتب بها مقالات كاملة لكن من الإنصاف أن نذكر أن هناك اتجاهاً جديداً لكثير من الكتابات الأدبية التي بدأت تدعم اللغة العربية وتخلق تحاوراً بناءاً بين الكتاب والمفكرين على صفحات الجرائد ، ويقرأه العوام فتزداد مفاهيمهم الفكرية وقدرتهم على التقارب .

[ث] الإعلانات فهى تستخدم لغة عربية ركيكة في قواعدها وألفاظها تُبث على أسماع الأطفال والكبار بإلحاحٍ دائمٍ وفي كل لحظة حتى أصبح العامة يحسبونها لغة سليمة ويستخدموها في تعاملهم اليومي .

[ج] خطورة توظيف الإعلام لتشويه الهوية العربية ونشر لغات أجنبية وتوطين قيم هابطة بدعوى التحضر .

العامية كأحد أسلحة القضاء على العربية

اللهجات العامية عبارة عن مستوى من الأداء اللغوى دون مستوى العربية الفصحى وليست لغة أجنبية وقد عاشت إلى جانب اللغة الفصحى قروناً عديدة في تفاعل طبيعي واللغة العربية الفصحى هي التي تستخدم في تدوين الشعر والنثر والإنتاج الفكري والعلمي عامة، وتخضع لقوانين تضبطها، وتحكم عبارتها وهي تتوخى الإيضاح والأصالة والإعراب إحدى وسائلها إلى تحقيق هذه الغاية ،أما العامية فهي لغة الحديث ،ويجري بها الحديث اليومي في البيت والسوق والشارع،ولا تخضع لنفس القواعد والقوانين الضابطة للعربية الفصحى لأنها تلقائية، ومتغيرة تبعاً لتغير الأجيال والظروف المحيطة بهم ، ومن أبر خصائصها خلوها من الإعراب .

وإذا بحثنا عن طبيعة العلاقة القائمة بين اللغة الفصحى من جهة ،والعامية أو العاميات من جهة أخرى،نجدها في كل لغات العالم تقريباً علاقة قديمة تضرب جذورها في أعماق تاريخ نشأة اللغات المكتوبة بل أن الفصحى كانت في إحدى مراحل التاريخ عبارة عن لغة عامية، تطورت نتيجة لعوامل مختلفة ،إلى لغة فصحى من هنا لم يكن اهتمام اللغويين العرب القدماء بدراسة العامية وعلاقاتها بالفصحى يهدف إلى تدوينها كلغة قائمة بذاتها إنما كان من أجل تصحيحها وتقليص الفجوة بينها وبين الفصحى لكي تصبح جزءاً سليماً من اللغة الفصحى وليست منافساً لها.

لكن هل العامية قادرة فعلاً على الوفاء بمطالب الفكر والعلم والتكنولوجيا ؟ بالطبع لا ومما أيده كل الباحثين اللغويين تقريباً أن العامية سواء في البلاد العربية أو غيرها من البلدان الأخرى قاصرة جداً في عن التعبير إلا في المجالات البسيطة كما أنها فقيرة فقراً شديداً في مفرداتها ولا يشتمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي فقط، وهي فوق ذلك كله لتعدد أنماطها فى البلد الواحد لغة مضطربة كل الاضطراب في قواعدها، وأساليبها، ومعاني ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وربط الجمل بعضها ببعض إلى غير ذلك كما أنها تخلو من المصطلحات العلمية، ومن الدقة في التعبير فى غير مجالها الحياتى وأداة هذا شأنها لا يمكن أن تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج المنظم ولذلك فهي لا تصلح أن تكون أكثر من أداة تخاطب في الشؤون العادية ومن ثم لا يجوز اتخاذها أداة للكتابة وما يطلب منها من أغراض لأنها لا تصلح لأن تكون لغة عامة لاختلاف العاميات حتى في البلد الواحد

وسائل ومضامين مسمومة

يقول د إبراهيم الريس أستاذ مناهج التربية : إن خطورة هذه المناهج الأجنبية التي تدرس في المدارس الأجنبية في البلدان العربية أنها تحمل لنا وسائل وأدوات ومعاني مسمومة ومضامين ذات أبعاد إيديولوجية وسياسية تخالف تقاليدنا ومعلوماتنا ومعارفنا بل وصل الأمر في بعض الدول العربية للاستعانة بأمريكيين وأجانب لوضع مناهج الدراسة العربية، مما أثار انتقادات بشأن حذف مقررات دينية معينة أو سور عن اليهود لتسهيل التطبيع، غير حذف بعض المعارك والبطولات العربية باعتبارها عنف لا مبرر له للطلبة!

أما أخطر ما في هذه المناهج الأجنبية فهو تكريس وترسيخ معنى خطير في عقول الأجيال وهو ضرورة فصل الدين عن الدولة بمعانٍ مختلفة ومتداخلة وخفيةٍ والاتجاه بفكر هذه الأجيال إلى نهج الدولة العلمانية، وهذا الاستيراد الآلي غير المدروس الذي تتلقاه عقول أبنائنا جاء في ظل غياب هيئة رقابية وطنية عليا مختصة، ودراسة دقيقة لهذه المناهج الأجنبية وفرزها وفق الأسس والضوابط الخاصة بتقاليد وأخلاقيات كل دولة، وليس هذا غريبًا، خصوصًا أن غالبية هذه المدارس والجامعات الأجنبية لا تخضع مناهجها للمراقبة من قبل وزارات التعليم في الدول العربية، وقد نتج عن ذلك حالات غريبة لتدريس كتب ومواد تخالف تاريخ

وتقاليد وعادات المجتمعات العربية فبجوار ما سبق كشفه من كتب تدرس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، تم كشف كتب أخرى مشبوهة تدرس في المدارس، ففي إحدى المدارس الأجنبية تم الكشف عن كتاب في مادة التاريخ كان يدرس للطلاب تاريخ قيام إسرائيل، كما أن بعض المدارس تتعمد ألا تقدم شيئًا عن تاريخ الدول العربية والإسلامية ولا لغتها، وإذا تم تدريسها في بعض تلك المدارس الأجنبية فيدرس من وجه نظر أجنبية وهذا الأمر كما يقول د إبراهيم الريس سيؤدي في المستقبل إلى نتائج خطيرة وإلى تجزئه ثقافية في فكر المجتمع ونوع من الاختراق الثقافي والاجتماعي والطائفي والسياسي والاقتصادي،ونوع من التآكل الفكري والحضاري لكل مقومات الوطن الحضارية والتاريخية والدينية،وبالتالي اقتلاع كل الجذور التي صنعتها مؤسساتنا الاجتماعية والتربوية الوطنية في فكر المجتمع.

وسائل الإغراء في التعليم الاستعماري:

لفظاعة الأهداف وفساد الغايات، في مدارس الاستعمار،وعظم نكايتها بالمسلمين بين الإلحاد والإباحية،لبسوا لها مسوح من اللين، وأفاضوا بغشاوة على أبصار المسلمين، وخادعوا بصائرهم، وأتقنوا فنّ الخداع والمكر، إنها وداعة الأفعى في صورة العلم والحضارة والتقدم والثقافة، ثم سياسة الانفتاح والخلط والعولمة فهرع إليها جهّال المسلمين، وفسقتهم لذا صارت الإغراءات بها في مرحلتين:

المرحلة الأولى: وسائل إغراء بمثابة: بطاقة دخول المدارس الأجنبية ونظام التعليم الغربي في البلاد الإسلامية فأنشئت على أنها:

١- مدارس تثقيفية تهذيبية تهدف إلى التثقيف العام وتنوير الأذهان.

٢- ولنشر العلوم الحضارية بين المسلمين.

٣- وإقناع الناس بأنها نماذج متقدمة للثقافة والعلوم وتعليم اللغات.

٤- وإيهام الناس بأنها رفيعة المستوى فيلهثون وراءها مصابين بداء الغرور والاستعلاء.

٥- وباسم مكافحة ما يعانيه المسلمون من الجهل والتخلف.

٦- وبمبرر تعليم أولاد الجاليات.

٧- ورصد الأموال الطائلة لها وبذلها.

المرحلة الثانية: وسائل إغراء بمثابة: بطاقة دخول أولاد المسلمين فيها.

اتخذ أعداء الله وسيلتين لضمان الإقبال عليها ودفع أولاد المسلمين إليها، وهما: جعلها وسيلة للرزق من ناحية جعل الأولوية للمتخرجين منها في الوظائف-أكسبوها مكانة اجتماعية تفوق مكانة الدارسين في المدارس الحكومية أو الخاصة؛ لهذا يلقب المنتسبون إليها: بالطبقة الجديدة، والطبقة المعاصرة، والطبقة المتطورة.

القلق وأسبابه وآثاره

والخوف من تعلم اللغات الأجنبية شكل من الأشكال التي يصفها علماء النفس بأنها رد فعل مضطرب محدد فبعض الأفراد يتعرضون للشعور بالقلق أكثر من غيرهم وقد يشعرون بالقلق في العديد من المواقف المختلفة وعلى الرغم من أن القلق من تعلم اللغات الأجنبية حالة خاصة فإنه يمكن أن يؤثر أيضًا على الأفراد الذين يشعرون بالقلق الشديد في المواقف الأعم لكن تعلم لغة ثانية من الأشياء المهمة للكبار أيضاً ، حيث ثبت بالبحث الطبي أن التمكن من لغة ثانية تؤخر حدوث الخرف في الشيخوخة أربع سنوات ، وتعطل الإصابة بمرض الزهايمر أكثر من ٥ سنوات كما ثبت أيضاً أن الطفل المولود من أم تتكلم لغتين يكون خلال حياته متفوقاً على من يتعلم لغة واحدة ، لأن الجنين يميز صوت أمه وهي تتكلم بلغتين خلال الثلاثة أشهر الأخيرة قبل الولادة ورغم أن جميع جوانب استخدام اللغات الأجنبية

وتعلمها يمكن أن يسبب القلق، فعادة ما يشار إلى الاستماع والتحدث باعتبارهما أكثر أنشطة اللغات الأجنبية إثارة للقلق فقد انقسمت أسباب القلق من تعلم اللغات الأجنبية انقسامًا كبيرًا إلى ثلاثة عناصر رئيسية هي رهبة التواصل، والقلق من الاختبارات، والخوف من التقييم السلبي فرهبة التواصل هي القلق الذي يعاني منه الفرد عندما يتحدث إلى غيره من الأفراد أو يستمع إليهم والقلق من الاختبارات هو شكل من أشكال القلق من الأداء المرتبط بالخوف من الأداء بشكل سيىء أو الفشل الفعلي تمامًا والخوف من التقييم السلبي هو القلق المرتبط بتصور المتعلم لاحتمال نظر المشاهدين الآخرين؛ المعلمين أو زملاء الدراسة أو غيرهم؛ إلى قدراته اللغوية نظرة سلبية وتتضح الآثار المترتبة على القلق من تعلم اللغات الأجنبية في الفصول المدرسية للغات الأجنبية ويعتبر القلق مؤشرًا قويًا على الأداء الأكاديمي وقد اتضح أن القلق يؤثر تأثيرًا سلبيًا على ثقة الطلاب، وتقدير الذات ومستوى المشاركة ويعاني المتعلمون القلقون من عدم القدرة على التذكر خلال أنشطة التحدث العفوية، وعدم الثقة، ويكونون غير قادرين على التصحيح الذاتي وتحديد الأخطاء اللغوية ويستخدمون على الأرجح إستراتيجيات التهرب مثل مغادرة الفصل وينسى الطلاب القلقون المادة التي تعلموها سابقًا ويشاركون طوعيًا في الإجابة عن الأسئلة بدرجة أقل ويكون لديهم رغبة كبيرة في أن يظلوا سلبيين في الأنشطة المدرسية أكثر من نظرائهم الأقل قلقًا

وتمتد آثار القلق من تعلم اللغات الأجنبية إلى خارج الفصول المدرسية للغات الثانية وقد يتزامن المستوى العالي من القلق من تعلم اللغات الأجنبية مع رهبة التواصل،مما يجعل الأفراد أكثر هدوءًا وأقل رغبة في التواصل والأشخاص الذين يظهرون هذا النوع من التحفظ في التواصل يمكن أحيانًا النظر إليهم باعتبارهم أقل جدارة بالثقة، وأقل كفاءة، وأقل جاذبية من الناحية الاجتماعية والمادية، وأكثر توترًا، وأقل هدوءًا، وأقل هيمنة من نظرائهم الأقل تحفظاً.

ولقد تم تطوير عدد من الأدوات من أجل فحص مستوى القلق من تعلم اللغات الأجنبية الذي يعاني منه متعلموا اللغة ومقياس القلق من تعلم اللغات الأجنبية في الفصول المدرسية هو استطلاع يتكون من ٣٣ سؤالاً، ويستخدم مقياس ليكرت ذو النقاط الخمس على نطاق واسع في الدراسات ويفحص المقياس رهبة المشاركين من التواصل، والقلق من الاختبارات، والخوف من التقييم السلبي؛ ويركز على المحادثة في سياق الفصل المدرسي وقد تمت ترجمة هذه الأداة واستخدامها بلغات مختلفة منها الإسبانية والصينية وبعد نجاح مقياس القلق من تعلم اللغات الأجنبية في الفصول المدرسية، تم استحداث أدوات مماثلة لقياس القلق من قراءة اللغات الأجنبية والقلق من الاستماع إلى اللغات الأجنبية والرهبة من كتابة اللغات الثانية.

الباب الخامس

مخاطر تعلم اللغات فى السن المبكر وآثاره

خطورة التعليم الأجنبى

حذرت دراسة مصرية أعدتها الباحثة الدكتورة بثينة عبد الرءوف، مدرس أصول التربية بمعهد البحوث والدراسات التربوية بجامعة القاهرة،بعنوان التعليم الأجنبي وأثره على نسق القيم للمجتمع المصري من أن الاختلاف بين نظام التعليم الأمريكي والإنجليزي والألماني من ناحية والتعليم المصري من حيث الأهداف واختلاف نسق القيم المصري والقيم السائدة للتعليم الأجنبي حيث يؤدي إلى اختلاف الشخصية المتخرجة من النظامين وأضافت أن المدارس الأجنبية في مصر تعمل بشكل منفصل تماماً عن المجتمع المصري، ولا تقع تحت طائلة أي قانون والإشراف الوحيد في المرحلة الثانوية، ومجرد إشراف صوري في حين أنها تخضع لهيئات أجنبية تطبق عليها مقاييسها وأهدافها، مما يمثل مظهرًا من مظاهر التدخل الأجنبي في الشئون الداخلية للدولة وأن تقييم كتب المدارس الأجنبية في مصر من قبل إدارة المعادلات المصرية هو تقييم ذاتي، حيث لا توجد معايير أو مقاييس مكتوبة يمكن الرجوع إليها بل تعتمد على ثقافة وضمير الخبير المصري مراجع الكتب، ولا تتم أية متابعة من قبل وزارة التربية والتعليم لمدى التزام المدارس الأجنبية بما حذفته أو ما طلب من تغيير في تلك المدارس وأن مرحلة التعليم الأساسي من الصف الأول إلى الشهادة الإعدادية لا تخضع لأي إشراف وزاري أو إداري،

كما أن مدير المدرسة الأجنبية أو مساعديه عادة ما يكونون من الأجانب حيث تتباهى هذه المدارس بأن الإدارة ومعظم المدرسين من الأجانب والأطفال المصريين يصلون إلى هذه المدارس في مرحلة مبكرة لم يستطيعوا بعد أن يخضعوا لهوية آبائهم ومجتمعهم ويدخلون في منظومة المدرسة الأجنبية ليتعلموا معايير الدولة التي تنتمي إليها مما يؤدي إلى صراع داخل الطفل لتشكيل الهوية ومع الوقت يرفض هؤلاء الأطفال ثقافة آباءهم ومجتمعهم ويعتنقون ثقافة المجتمع الذي تمثله المدرسة الأجنبية.

هناك ظاهرة هي الأخطر بدأت تتكرس في أوساط الطبقة المثقفة في المجتمع، هي العزوف عن استخدام اللغة العربية الأم، وهو ما تمثل في تصاعد نصيب المفردات الأجنبية في لغة التخاطب اليومي وفى وسائل الإعلانات لدرجة أن أسماء المحلات والمنتجات صارت بالإنجليزية، وهو ما يعني دفع العربية للانزواء ولاسيما أن جميع المؤسسات الاقتصادية أصبحت تشترط إجادة الإنجليزية كتابة وقراءة بوصفها شرطاً للحصول على وظيفة بها؛ مما يعكس أهمية اللغات الأجنبية في بلادنا وتراجع دور لغة القرآن الكريم في مجمل حياتنا بما ينذر بعواقب وخيمة في حالة عدم التنبه لهذا الخطر وعدم إعادة الاعتبار للعربية وحذرت دراسة حديثة للدكتور عبد الله التطاوي أستاذ الأدب العربي في جامعة القاهرة من تأثير حملات التغريب اللغوي ولاسيما من جهة تزامنها مع تراجع مجامع اللغة العربية في الوطن العربي عن دورها في استحداث مترادفات تواجه حرب المصطلحات الأجنبية،وطغيان الإعلام المرئي والمسموع على المقروء، واستخدام العامية في أغلب هذه القنوات، فضلاً عن عدم الاهتمام بالعربية في المناهج الدراسية بالمدارس؛

مما سيضر ضررا بالغاً باللغة الأم،وحذر من خطورة إدخال اللغات الأجنبية في مناهج التعليم في المراحل الأولي من التعليم لما لها من تأثير سلبي على تعلم اللغة الأم؛ استناداً إلى أدلة مستمدة من علم النفس التربوي؛ حيث تواكب المرحلة الأولى في النظام التعليمي مرحلة الحضانة ورياض الأطفال مرحلة الطفولة المبكرة التي يبدأ فيها نمو الأحبال الصوتية والعضلات، ويكون الطفل أكثر حاجة لتعلم اللغة الأم ونطقها وفهم معانيها والتدرب على مخارج الألفاظ الصحيحة؛ حيث يختلف التكيف الصوتي من لغة إلى أخرى، وبذلك يحدث خلط عند الطفل بين اللغات ولا يتمكن من إتقان لغتين في وقت واحد، بل يكون إتقان إحداهما على حساب الأخرى؛ لذلك تقتصر مناهج التعليم في الدول المتقدمة على اللغة القومية في التعليم في المراحل الأولى من حياة الطفل.

بما سبق يمكن القول أن العربية تتعرض لمؤامرة خطيرة ومحبوكة، ومع الأسف فبعض أبنائها يشاركون في هذه المؤامرة مشاركة قوية وخطيرة، وهو ما رصدته عديد من الدراسات النوعية التي أجمعت على خطورة التوسع في إنشاء مؤسسات تعليم أجنبية في بلادنا والتوسع في تدريس اللغات الأجنبية في لأشبال الروضة والتعليم الابتدائي دون أن يجيد هؤلاء العربية؛ مؤكدة أن هناك ثلاثة اتجاهات متعارضة حول أهمية تدريس اللغة الأجنبية في المدارس والجامعات؛ إذ يدعو الاتجاه الأول إلى التوسع في تعليم اللغة الأجنبية وإدخالها في مراحل التعليم المختلفة بداية من مرحلة رياض الأطفال، في حين يدعو الاتجاه الآخر إلى تأجيل إدخالها في المناهج إلى السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية،

وثالث يدعو إلى أن تكون الإنجليزية وما يقابلها من لغات أخرى هي لغة التعليم في جميع مراحله، على أن تصبح اللغة العربية مادة دراسة مقصورة على مقررات التربية الدينية فقط وتؤكد هذه الاتجاهات حول سبل التعامل مع اللغات الأجنبية أنها أصبحت أكثر انتشاراً سواء في المدارس الحكومية أو في مدارس اللغات؛ حيث تحولت إلى لغة للتعليم في هذه المراحل بشكل أنتج حزمة من مشكلات التعليم الخطيرة، منها ضعف مستوى طلاب المدارس الحكومية والخاصة في اللغة الأجنبية لعدم ممارسة اللغة الأجنبية في الصفوف الدراسية إلا لساعات قليلة،عكس طلاب المدارس الخاصة لغات الذين تواجههم مشكلة أخرى، وهي ضعف المستوى في اللغة الأم لقلة استعمالها في المدرسة والمنزل .

فالتعليم الأجنبي يعرضنا لمخاطر لا تنتهي والحديث عن المدارس الأجنبية حديث يتلاقى مع كثير من نقاط واقعنا المعقد؛ فهو يتناول التربية العقدية بمفهومنا ولفظنا، كما يتناول التنشئة السياسية من جهة أخرى، ويتناول قضية الهوية بجوانبها وتشعباتها، وهي سر من أسرار تخلف التنمية، ولها ظلالها الإعلامية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، ويمس عصب الأمن القومي ولكي نتصور القضية تصوراً صحيحاً لا بد أن نضع في اعتبارنا عدة أمور:

أولها: أن التعليم الأجنبي يأتي ضمن منظومة واسعة لتغريب الأجيال وإبعادها عن دينهم تتضمن التعليم والإعلام والثقافة، ويتستر خلفها التنصير والاستشراق والاستعمار، وتساندها بقية الأدوات.

وثانيها: أن الكلام حول التعليم الأجنبي يتناول المدارس الأجنبية ومدارس إرساليات التنصير ومدارس الجاليات بالأصالة، كما يشير إلى مدارس اللغات والمدارس التجريبية التي تقفوا أثر المدارس الأجنبية وإن تسمَّت بأسماء عربية بالتبعية، كما يتطرق الحديث إلى الابتعاث إلى الدول الغربية.

وثالثها: أن حديثنا عن دور ومخاطر هذا النوع من التعليم يزيد من شأنه ولا يهون ما يتم للتعليم الوطني اليوم في كثير من بلادنا الإسلامية تحت مسميات التطوير والتحديث، ضمن ما يعرف بعولمة التعليم التي ترعاها المؤسسات الدولية وتدفع إليها الدول الغربية.

ورابعها: أن التعليم في الإسلام يعني عملية إفراز وتنمية للولاء العقدي الذي هو أعلى وأوثق أنواع الولاء، كما يرتبط بقيمة وجودية للأمة الإسلامية هي الهداية كما قال ـ تعالى ـ: { وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } كما يرتبط بقيمة أخرى في الآخرة هي الوقاية من عذاب الله تعالى ـ: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ }وهذا كما قال المفسرون يتم بالتعليم والتأديب، وفيه ملمح مهم وهو ارتباط التعليم بالإصلاح، على عكس ما يحدث اليوم في التعليم الأجنبي.

وخامسها: أن دخول أطراف خارجية في العملية التعليمية يعني تعريض أمن الأمة للخطر؛ وذلك حين يتعرض دين الأجيال للتحريف وعقولهم لألوان الغزو الفكري، وهي مسألة لا تقل خطورة عن السماح للأجانب بالالتحاق بالجيش أو أجهزة الأمن التي تسهر على حماية البلاد، بل تزيد؛ لأنها تؤدي مستقبلاً إلى وجود مثل هذه الفئات داخل هذه المؤسسات دون أن ندرك حقيقة الدور الذي تقوم به إننا كثيراً ما نلمس آثار هذه المدارس على المتخرجين فيها، لكن ما يغيب عنا أكثر، دون أن يكون لنا أفراداً أو مجتمعات دور يتفاعل مع قضية بهذه الخطورة .

سادساً: الحديث عن التعليم الأجنبي اليوم لا يمكن التطرق إليه بمنأى عن خريطة التعليم القُطرية فلم تعد المدارس الأجنبية هي الخطر الوحيد في مجال التعليم؛ بل ينبغي تصور خريطة المخاطر المحيطة بالتعليم اليوم؛ فهناك مدارس إرساليات علمانية، ودينية، وهناك مدارس دينية تخص طوائف النصرانية التي تعيش في بلداننا الإسلامية، والمدارس الخاصة التي تقتفي أثر هذه المدارس،إلى جانب التعليم العام المنجذب نحو مجال هذه المدارس كنموذج.

إن نظرة الأمم إلى مسألة التعليم تنطلق من نظرتها لذاتها ودورها وهدفها الأبعد على هذه الأرض وما بعد الأرض؛ ومن ثم فخريطة التعليم لأي دولة يمكن أن تنبئنا بتطلعات هذه الدولة إلى المستقبل، ويمكن إيضاح ذلك من خلال عدد من التجارب والمواقف:

*كان للتعليم الشرعي دوره الذي بهر العالم كله في نموذج طالبان وسيطرتها على الأوضاع داخل أفغانستان بسهولة، والبدء في خطط تنمية حقيقية رغم الحصار الشديد وضعف الإمكانيات؛ مما جعل التقارير العالمية توصي باتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة بصدد هذا النوع من التعليم في الدول الإسلامية الأخرى، ومن ثم قام العلمانيون بتصفية هذا النوع من التعليم بعدة طرق في تركيا ومصر واليمن وباكستان وغيرها، وما يحدث الآن في أفغانستان يعيد للأذهان حملة نابليون للقضاء على بواكير النهضة العلمية والحضارية التي كادت تزدهر في أحضان الأزهر، وزرع التعليم البديل.

*كان للمدارس الدينية دورها في إنجاح ثورة إيران أواخر السبعينيات، كما كان للتعليم الغربي دوره اليوم أيضاً في الانقلاب السلمي على الثورة هناك .

*النهضة الاقتصادية الماليزية بدأت أيضاً بالتعليم؛ ففي سنة ١٩٨٥م أقيمت مؤتمرات وطنية لقضية التعليم، وقررت أن تكون ماليزيا دولة صناعية؛ لذا تغيرت مناهج التربية والتعليم على هذا الأساس، كما تغيرت نظم البعثات الدراسية، والهجرة والاستثمار في غضون ١٠ سنوات، وكانت النتيجة أن ماليزيا أصبحت عاشر دولة صناعية في العالم سنة ١٩٩٥م

*نموذج الصين واليابان والهند وألمانيا تجارب دول عانت من مشاكل أكثر عدداً وأضخم من المشكلات التي يعلق عليها العرب خيبتهم التعليمية والتنموية؛ ومع هذا استطاعت هذه الدول حين ملكت الإرادة أن تقفز من خلال تعليم هادف قفزات سريعة في فترة محدودة وفي كشمير المحتلة عملت الهند على محـاربـة التعليم الإسلامي ونشر التعليم العلماني، وتشجيع الحركات العلمانية على حساب الحركات الإسلامية؛خاصة بعد ظهور حركات الجهاد لطمس هوية كشمير وإذابتها داخل المستنقع الهندي.

*وأخيراً كان للتعليم الأجنبي أثره البالغ على أمن المنطقة العربية وتحررها من خلال تربية أجيال لا تؤمن إلا بالفكر الغربي،ولا تعرف غير الحضارة الأوروبية، وتتنكر لدينها وحضارتها وقيمها الأصيلة، وكان لهذه الأجيال العير والنفير في مختلف المجالات.

<u>الأخطار التى تهدد اللغة العربية</u>

نرصد هنا بعض الظواهر السلبية التي تعاني منها اللغة العربية في مجتمعاتنا، إذ أصبحت تنوشها معاول الهدم وتنتقص من وجودها المشخص في الواقع اللغوي المتداول بين الناطقين بها وفيما يلي عرض لبعض المخاطر التي تعاني منها اللغة العربية في واقعها المستخدم بين أبنائها:

انتشار اللغات العامية: تنتشر العامية انتشاراً صارخاً بين أبناء اللغة العربية، وتتنوع هذه العامي، لتهدد اللغة الفصحى الأم، وتجعل اللغة الفصحى في مستوى ثان من التجسيد اللغوي،وتمنحها مكانة أقل في التعبير بين أبناء اللغة.

-السعي إلى تحويل اللهجات المحلية من المستوى الشفوي إلى الكتابي ويرتبط بالخطر الأول خطر داهم، له شواهد كثيرة في بعض البلدان العربية، ألا وهو تحويل اللهجات العامية من المستوى الشفوي إلى المستوى الكتابي، وما يفرضه هذا التوجه من سيطرة العامية على اللغة وهو مقدمة طبيعية لتجسيد لغة ثانية تبتعد كلية عن اللغة الفصحى.

الخطر العقدي: ويبدأ هذا الخطر حين تقوم هذه المدارس بترويض فكر الطالب شيئاً فشيئاً ليتشرب العقيدة النصرانية، وتنزع عنه حساسية الفطرة والإيمان، من خلال المناهج، والممارسة التربوية، والنموذج التربوي الذي تقدمه هذه المدارس كمثل أعلى، وشكل البناء؛ فالمدرسة تبنى بجوار كنيسة أو داخل فنائها، وأسلوب الإدارة، وتعويد الطفل على رؤية الكهنة والراهبات في منزلة التوقير بما يجعل لهم نفسياً سلطة لا شعورية تبدأ بالاحترام وتنتهي بقبول أفكارهم ومعتقداتهم؛ فلا يجد هذا الطفل حرجاً حين يتخرج أن يرتدي لباس الكهان، بل يظل يحلم بهذه اللحظة، وكأن المدرسة تقول له: قد هيأناك لتكون هكذا! ولا حرج أن يدخل كنيسة المدرسة ظهر كل أحد مع زملائه ليستمع إلى درس الأحد، ولا بأس بعدها أن يدخل أي كنيسة ضيفاً أو زائراً أو مهنئاً أو معزياً!.

وهو في البداية كما قال هوارد ويلس رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق في بيروت:التعليم في مدارسنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الإسلام وهو في النهاية كما يقول بنروز رئيس الجامعة الأمريكية أيضاً: أثمن الوسائل هي التي استطاع المبشرون أن يلجؤوا إليها في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان ومن يقرأ تاريخ الأحزاب والحركات الهدامة في العالم الإسلامي في عصرنا الحاضر يلمس دوراً خطيراً للتعليم الأجنبي في تشكيل هذه الحركات وتوجيهها .

والمدرسة تبدأ بالطفل خاصة حين يغفل الأبوان عن دورهم في المتابعة، ثم تجعل منها قنطرة إلى أسرته،وهؤلاء تعد لهم المدرسة قائمة طويلة من المناسبات والحجج التي تبدو طبيعية لتوثيق العلاقات،كمجلس الآباء والحفلات الدورية وغيرها من المناسبات،ومن ثم يفتح الباب أمام الكنيسة لتمارس دورها في ربط هؤلاء بحياة الكنيسة، فتشملهم بمجموعة جديدة من خدمات التعليم غير النظامية،مثل مدارس القرى،وبرامج التربية الشعبية ومحو الأمية، وبرامج التدريب المهني والحرفي،وتعليم اللغات،والتدريب على الحاسب الآلي، ومجالات السياحة وأعمال مكاتب الطيران، ومراكز تنمية المجتمع، ومراكز رعاية الطفولة وتحاول هذه المدارس مع من يلتحق بها أن تعزله عن التأثر بعقيدته الإسلامية ومحيطه الكبير،تارة بإثارة الشكوك وأخرى بأساليب السخرية المقنعة والظاهرة والتهوين من شأن الإسلام! وإذا لم يخضع التلميذ وأبدى بعض التمسك كان في انتظاره حزمة من عمليات الحرب النفسية الكفيلة بأحد أمرين: ترك المدرسة، أو عقدة الانطواء؛ ومن ثم تنجح المدرسة في تصوير المتمسك بإسلامه لباقي زملائه على أنه أحد اثنين: إما غير ناجح، وإما معقّد.

ثم تكتمل الحلقة حين يلتحق الطالب بإحدى جامعات الغرب أو فروعها في بلادنا؛ فيجد عشرات من الكتب والرسائل التي تطعن في الإسلام طعناً صريحاً، وتخلط بين الإسلام وما سواه باسم الثقافة، ويجد الزوجة التي تكمل معه المشوار، والأستاذ الذي يأخذ بيده إلى آفاق أخرى، ولهذا لا يعجب المرء بعدها حين يسمع عن تنصر بعض هؤلاء سراً أو علناً.

وكما تعمل مدارس التنصير على ترسيخ قيم الكنيسة التي تنتمي إليها، تعمل المدارس العلمانية على ترسيخ القيم المادية من خلال منظومتها التعليمية؛ حيث تطبق المعايير الرأسمالية البحتة على كل شيء بدءاً من عمل المدرسين وأدائهم، وانتهاء بتقييم الطلاب وتحديد أولويات حياتهم.

ومن هنا يزول عجب المرء حين يجد هذا الهجوم الواسع على الإسلام من طوائف واسعة من بني جلدتنا ممن يتحدثون بألسنتنا،وحين يجد الدأب في العمل لخدمة المصالح الغربية على حساب الأمة، حين يعلم المرء أن هذا النتاج هو حصيلة قرن ونصف من العمل الدؤوب في مجال التنشئة ومعلوم أن الإنسان يحن إلى طفولته وصباه، ومكوناتهما هي أوتار الحس في بقية مراحل العمر وتعلق قلب المتعلم في هذه المدارس يعد مقدمة لما بعده.

فلا عجب أن يُضمَّن الشعر والنثر عقائد أهل الكتاب، ولا غرابة أن تستورد قوانينهم وأفكارهم حتى بعد إحالتها للتقاعد في بلادها، أو أن يصبح إعلامنا بوقاً لترديد ما يشتهون، ومن لم يدركه أثر التعليم مباشرة أدركته توابعه وبهذا نجد أن أثر التعليم الأجنبي لا يقف عند حد فرد أو مجموعة وإنما تسري سمومه في جسد الأمة وهي تظن أنها تتداوى والمتأمل في تاريخ بعض الشخصيات التي تربت في هذه المحاضن يجد أن شؤم التحاق فرد ربما عاد على الأمة كلها بضرر كبير،

ولدينا أمثلة من حاضرنا تتمثل في أتاتورك رغم أصوله المتصلة باليهود؛لكن طبيعة نشأته وتكوينه هو ومجموعة الاتحاد والترقي هي التي حركته في الاتجاه الذي سار فيه، وسنجور حاكم السنغال السابق الذي نصَّرته مدرسته بينما لا يزال أهله مسلمين وتولت إعداده ليتولى حكم دولة مسلمة بنسبة ٩٩% ويحارب فيها الإسلام، وبعد أن افتضح أمره تفرغ للتنصير ،وأقيمت جامعة تحمل اسمه لإعداد المنصِّرين فـي بلاد المسلمين.

وقل ما هو أعظم من ذلك عن إسماعيل باشا خديوي مصر الذي عاد مع أول بعثة من فرنسا وهو يحلم بتحويل مصر إلى قطعة من فرنسا، ودوره الخطير في تمكين أعضاء المحفل الماسوني من حكم مصر، والسيطرة على قطاع واسع من المنطقة العربية، وأغدق الهبات على بعثات التنصير الفرنسية المتعاونة مع الاستعمار من الصين إلى أعماق أفريقيا، وقد ورد في رسالة مسيو بوجاد قنصل فرنسا في مصر في ١٨٦٩/٥/٢م:أن إسماعيل منح رئيس أساقفة اللاتين بمصر قطعة أرض مساحتها: ٣٥٠٠ ذراع في موضع حسن جداً ١٥٠ ألف فرنك ذهب، ومنح الراهبات إعانة سنوية ٦ آلاف فرنك ذهب وهبة ٢٠٠ ألف فرنك، ومنح أساقفة اللاتين منحة أخرى هي أرض مساحتها ٦ آلاف ذراع وكانت منذ عام ١٨٦٧م قد بدأت مدارس الاستعمار الفرنسي والبريطاني في العمل في مصر، وجميع عملاء الغرب من رجال الخديوي إسماعيل إنما صنعتهم هذه المدارس لقد كان شؤم هؤلاء الثلاثة على عقيدة الأمة وعلى عافيتها أمراً لا يمكن الإحاطة بمداه؛ لأن تبعاته ما زالت تتوالى علينا، وقد كان جهدهم ناتجاً عن عقيدة نجح التعليم في تشكيلهم عليها.

ومن العجيب أن نصارى البلاد العربية أبوا أن يلحقوا أولادهم بالمدارس النصرانية الوافدة وهم أهل دين واحد غيرة على مذاهبهم وحرصاً على أبنائهم، فأقاموا مدارس خاصة بهم أما المسلمون فلم تأنف منهم طائفة أن يسلّموا أولادهم إلى هؤلاء وهؤلاء! يقول المنصر تكلى: يجب أن نشجع إنشاء المدارس، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي فكثيراً من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي أمراً صعباً جداً.

لقد حفلت مناهج التعليم الغربي بجهود المستشرقين في الطعن في الإسلام، وتزيين ما عليه عقيدتهم من باطل، وتحسين مناهجهم وسيرتهم، والفتنة بتاريخهم والتأسي بعظمائهم،والفخر بما حققته مدنيتهم من تقدم مادي، والتنكر لكل ما هو إسلامي وعربي كل ذلك ما كان ليبلغ مداه لولا التأسيس لها عقيدياً ؛ لهذا نجد أن كثيراً من أفكارهم الشاذة انتقلت من كتبهم إلى بطون الدساتير والقوانين واللوائح العربية،وعبرت عن أفكارهم مئات الصحف والإذاعات، وترجمت إلى آلاف الكتب والرسائل، وأقيم من أجلها ما لا يحصى من المؤتمرات والندوات والجمعيات والهيئات، كل ذلك لم يكن ليتحقق لولا الغزو العقدي الذي مني به طائفة من المسلمين خلال تربيتهم في هذه المدارس، ويسهرون على نشره ونصره بين مجتمعاتهم اليوم.

الخطر التعليمي والتربوي:إن ما قام به التعليم الأجنبي ابتداء أشبه بإنشاء جدول صغير خاص به، وتحكم فيما يدخل إلى هذا الجدول كما تحكم في مصبه؛ يسقي منه من شاء، ثم أخذ بتوسيع ذلك الجدول شيئاً فشيئاً، ثم عمد مع الوقت إلى تحويل مجرى الماء الأساسي إلى جدوله لينبع منه ويصب في مصبه هو فمن أخطر ما قامت به المدارس الأجنبية أنها استطاعت أن تضع المعايير التي تقاس بها جودة التعليم وفقاً لمآربها هي، مع أن معايير القياس في تجردها فيها جزء مطلق وجزء آخر تحكمه عقيدة المجتمع، لكن الذي حدث أن المدارس فرضت ذلك من خلال طبع صورة الانبهار بها لدى العقل العربي ابتداء، ثم بتمكين خريجيها من توجيه المجتمعات لاحقاً؛ مما أدى إلى فرض صيغة مأزومة للمعايير التي تحكم سير العملية التعليمية الوطنية بعد أن أحاطتها بسياج من الجمود والتخلف والتبعية ولو تفحصنا نظرة التربويين إلى عملية التربية لوجدنا أن الأمم الغربية كان لديها حساسية من استعارة معايير خارجة عن المجتمع وظروفه وأهدافه العليا حتى وإن اتفق الطرفان في جزء كبير من العقيدة واللغة والتاريخ يقول كونانت أستاذ التربية الأمريكي الشهير في كتابه: التربية والحرية: إن عملية التربية ليست عملية تعاط وبيع وشراء، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل، إننا في فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية والأوروبية إلى بلادنا الأمريكية واستيراد نظريات التربية الغربية ومعاييرها لا يناسب حال الإنسان المسلم ولا تطلعاته خاصة مع وضوح ماجاء به القرآن وامتلاء التاريخ بصفحات الكيد والمكر؛ فإذا كانت التربية تعني سعي الأمة للاحتفاظ بنظرية سبق أن آمنت بها،

وأقامت عليها حياتها، وجاهدت في سبيل تخليدها بنقلها إلى الأجيال القادمة ومن ثم فهي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها ووظيفة المدرسة أن تمنح القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكنه من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام ومن خلال هذه الرؤية التي تزداد خصوصية ووضوحاً إذا ما تعلق الأمر بخير أمة أخرجت للناس نرى أن خطر التعليم الأجنبي لم يقتصر في مزاحمته تعليمنا الداخلي الذي أريد له التخلف والقصور، وإنما في كونه أصبح هو الذي يمسك له البوصلة التي تحدد له اتجاهاته ومساراته،وقيمه ومعاييره، وأهدافه ووسائله، وهنا مكمن الداء في أن الاختراق نجح بإشعاعاته أن يقلب كيمياء التعليم في عدد من بلادنا إلى خلايا سرطانية تتغذى بغذاء الجسد وتعمل في ذات اللحظة على هدمه.

الخطر على الهوية:خرَّجت المدارس الغربية عشرات الأجيال من المتغربين: منهم من خلع عن نفسه ربقة الإسلام كلية واستبدل بها ما دونها، ومنهم من تشبع بانهزامية وانسحاق أمام الغرب، ومنهم من لم تكن العقيدة ذات بال عنده فانسلك في سياق مادي وقدم نفسه عميلاً أينما وضعه الغرب وجده، ومنهم من انكمش داخل ذاته، ومنهم من رفض كل ذلك لكنه بقي مخترَقاً ببعض القيم الغربية التي تحول بينه وبين الحركة الصحيحة، ومنهم من رفض ذلك علانية فأُقحم في سلسلة من الإهانات والعواصف النفسية التي جعلت منه أنموذجاً مأزوماً منطوياً على نفسه

فهذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت أذواقهم، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوروبية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوروبي، فصاروا مستعدين للتأثر بالمؤثرات التي احتكوا بها أيام الطفولة أي التعليم على الطريقة المسيحية إضافة إلى أثر اللغة التي يتعلم بها؛فثمة علاقة قوية بين اللغة والتكوين العقلي والنظرة إلى الوجود أثبتتها الدراسات الحديثة في علم اللسان، فأسلوب الاستجابات والمواقف في مجتمع من المجتمعات يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة والفكر؛ وعلى هذا فإن الصيغ تؤثر في الذهن وتنظم التفكير بشكل معين والبناء اللغوي الذي يتلقاه الفرد من محيطه مسؤول مسؤولية مباشرة عن الطريقة التي ينظم بها نظرته إلى العالم وإحدى كبريات المعضلات التي يخلفها التعليم الأجنبي هى غرس بذرة القابلية للاستعمار لدى نفوس أتباعه يقول المستشرق جب: إن التعليم هو أكبر العوامل الصحيحة التي تعمل على الاستغراب، وإن انتشار التعليم على الطريقة الغربية سيبعث بازدياد في الظروف الحاضرة على توسيع تيار الاستغراب وتعميقه،لاسيما لاقترانه بعوامل التعليم الأخرى التي تدفع الشعوب الإسلامية في نفس الطريق وقد أشارت بعض الصحف والمجلات إلى ضعف قضية الولاء لدى خريجي هذه المدارس والجامعات، سواء على مستوى الدين أو على مستوى الدولة أو المجتمع وأخطر من الاستعمار السياسي والاقتصادي ما يعرف بالاستلاب العقدي؛ لأنه يجعل الإنسان يدور في فلك وإطار حياة رسم له ولا يرى له وضعاً غير وضعه،

وقد حرصت كثير من الكنائس الشرقية القديمة على بناء المدارس إلى جنب الكنيسة؛ بل في حضن الكنيسة في كثير من الأحيان إشارة منها إلى سلطة العقيدة على الحياة ويقول المستشرق شاتلي: إن أردتم أن تغزوا الإسلام وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة؛ فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم المعنوي وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بنشر ثقافتهم وتاريخهم، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج والبسطاء منهم لكفانا؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها ومع أن لهذه المدارس جوانب لا تنكر في طريقة العرض، وجاذبية المناهج، ومتابعة الطالب وإدارة العملية التعليمية، لكنها بمثابة ما في الخمر من فوائد؛ لأنها وهي كذلك تعطي مفاتيح مغلوطة للعلم من حيث كنهه وهدفه ووسائل تحصيله ومجالات استثماره خاصة حين يصب في خدمة أعداء الله نعم هي تعمل على تنمية الفرد ثقافياً وتجعله يفكر بطريقة منظمة لكن في إطار ما تريد هي، وينتفي هذا النظام إذا تعلق الأمر بالإسلام أو الثقافة أو الحضارة العربية إذن هي لا تعطيه قيماً تعليمية أو تربوية مطلقة يمكنه من خلالها التفكير المستقل عن الإطار الذي رسم له ولا يخفى خطرها في إعادة تشكيل الهوية من خلال توظيفها لكل متاح لديها ليخدم في هذا المجال

الخطر الأمني :يتسع مفهوم الأمن ليشمل إلى جانب أمن النظام كمظلة وأمن المجتمع كمحضن ليشمل أمرين سابقين مقدمين عليهما وهما: العقيدة بوصفها أساساً يقوم عليها النظام والمجتمع، والولاء باعتباره صلة تربط بين مكونات المجتمع والدولة والمفترض أن تعريض واحد من هذين الأمرين للخطر حتى ولو على مستوى فرد يعني تعريض أمن الأمة للخطر وللأسف فإن نظرية الأمن القومي الأمريكي قد راعت هاتين المسلّمتين بينما أغفلت في الحس العربي ومن ثم فإن خطر التعليم الأجنبي على أمن الأمة لا بد أن توضع فيه هذه الاعتبارات، ويوضع على رأس أولويات الأمن القومي للدولة؛ فمجرد ضعف أو إضعاف التعليم الوطني هو تهديد للأمن القومي، ومحاولة جهة ما السيطرة عليه أو التأثير فيه يمثل خطاً أحمر لا يجوز السكوت عنه بل إن هذه المدارس في مسألة الأمن قد تخطت هذا إلى ما هو أخطر بكثير إلى التأثير في إعادة صياغة وتشكيل مفهوم الأمن القومي حتى لا تثار ضدها أدنى حساسية؛ فالإعلام والثقافة مدرجان ضمن دائرة الأمن دون أن يُدرَج هذا النوع من التعليم مع أنه أهم وأخطر.

وعلى العكس نجد التعليم الإسلامي بكل صوره مدرجاً ضمن مخاطر الأمن القومي في كثير من بلادنا؛ بينما لا نجد أي حساسية من وجود المدارس الأجنبية وانتشارها وهي الدخيلة الزنيمة، والسبب أن اختراق التعليم المبكر لعقل النخبة التي بيدها مقاليد الأمور قد نجح في إقصاء نشاط هذه المدارس من حس العقلية الأمنية ومن حساسيتها؛ وبهذا يقال إن هذه المدارس قد نجحت في توجيه سهامها إلى مقومات الأمن الحقيقية للمجتمعات، ولنا أن نقارن بين دور خريج من خريجي الجامعات يعمل في علن على اختراق عقل الأمة أو تخريب اقتصادها، وبين متهم بالتخابر مع جهة أجنبية في نفس المجالات التي يعمل فيها الخريج: كيف ستكون النظرة إلى الطرفين؟ إن عشرات النماذج في طول بلادنا وعرضها لتخبرنا بما لم يكن متصوراً في حق هؤلاء بل ربما قُدموا للأجيال على أنهم رواد فكر وحضارة دون أن تشعر الأجيال بالخطر الحقيقي الماثل في صنيع هؤلاء، بل لم تثر ضدهم أي شبهات.

الخطر الاجتماعي : اهتمت هذه المدارس بتعليم المرأة المسلمة لإخراجها من دينها شيئاً فشيئاً، ولنزع ثوب الحياء عنها تقول الصليبية آنَّا مليجان ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من تعليم بنات المسلمين في مدارس التبشير الخاصة فالقضاء على الإسلام يبدأ من هذه المدارس التى أنشئت خصيصاً لهذه الغاية،لتستهدف صياغة المرأة المسلمة على النمط الغربي الذي تختفي فيه كلمة الحرام والحياء والفضيلة! ويوافقها زويمر في ذلك فيقول: إن أقصر طريق لذلك هو جذب الفتاة المسلمة إلى مدارسهم بكل الوسائل الممكنة

؛ لأنها هي التي تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي وسلخه من مقومات دينه، وقد تنبه الغرب لدور المرأة منذ وقت مبكر، فأقام لها مدارس ذات طابع نصراني بنظام الإقامة الكاملة، واحتضن مجموعة منهن كمشاريع رائدات تغرير تحرير لأن المرأة أسلس قياداً لكونها مجبولة على التبعية ولأسباب أخرى نجح الغرب في تكوين إطار نسوي كانت بواكيره في تلك المدارس المغلقة لتصبح المرأة معول هدم بعد أن كانت أداة بناء خاصة حين تتبنى الرؤى الغازية لقضية المرأة والمجتمع .

ترسيخ الطبقية وتفتيت المجتمعات:ولقد ساهم التعليم الأجنبي في ترسيخ الطبقية داخل المجتمعات؛ حيث إن نظام الالتحاق به كان مبنياً على ذلك؛ فرسوم الالتحاق بهذه المدارس باهظ جداً ولا يستطيعه إلا الأغنياء وهم الطائفة التي تريدهم هذه المدارس وتعطيهم الأولوية حتى يمكنها أن تقيم علاقة مع هذه الطبقة وهي طبقة الصفوة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية تبعاً لتحقق من وراء ذلك عدة أهداف فالاتصال بهذه الطبقة يسهل عمل هذه المدارس ويفتح لها مغاليق الأبواب وتربية أبناء هؤلاء مضمون العائد نظراً لأنهم هم الأقرب لامتلاك زمام الأمور سياسياً واقتصادياً وفكرياً في المستقبل وهؤلاء الأولاد غالباً ما يكون الترف قد أكل منهم وشرب؛ وعليه يسهل إقناعهم بأي شيء، ولعلنا لا نمل إذا رددنا أن عبدة الشياطين كانوا من أبناء هذه المدارس ومن نفس الطبقة المستهدفة وغالباً ما تكون هذه الأسر في حال تفكك لانشغال الأبوين عن الأولاد؛ ومن ثم فلا توجد سلطة تربوية أو رقابية يمكن أن تفسد ما تغرسه هذه المدارس ووجود الصفوة يفتح المجال أمام طبقات أخرى أقل في المستوى والمكانة، مصابة بحب التقليد؛ فتسعى إلى إلحاق أولادها تشبهاً بغيرها؛ وكأن هذا يكسبها مكانة في عين الناس! وساعد في هذا عدد من الأفلام والمسلسلات.

المخاطر الأخلاقية :كثيرة هي المفاسد الأخلاقية التي تورثها الدراسة بهذه المدارس، وأثرها ظاهر فاشٍ؛ ومن أخطرها زوال حساسية الإيمان إذ يقترفوا المنكرات وفي كثير من الأحيان نجد مفاخرة ومجاهرة بالحرام بالإضافة إلى ما تبثه من شرور مقصودة، فإنها تعد قناة مباشرة لنقل أمراض المجتمعات الغربية إلى مجتمعاتنا؛من ذلك الانتحار والجرائم الأخلاقية والجريمة المنظمة، ولا عجب أن يسجل لنا أحد الباحثين المطلعين على أوراق قضية عبدة الشيطان أنهم كانوا جميعاً من خريجى المدارس الأجنبية ومن بينها الاختلاط والتبرج، ونزع الحياء، وإقامة العلاقات المحرمة باسم الحب والصداقة، ومثل هذه المباذل يرسخ التعليم في نفس الطالب أنها من حقوقه، ولا بد أن يمارسها حتى يتخلص من عقدة النقص.

التفكيك الثقافي: أما د حامد عمار شيخ التربويين المصريين فلا يستبعد، بل يرجح، من المنظور الثقافي، أن التعليم الأجنبي أو باللغة الأجنبية قد يراه الغرب وسيلة لتكوين عقلية وثقافة تخفف ما يزعمونه من أن نظم تعليمنا ومناهجها وأجواءها مصادر لتوليد العنف الذي قد يشتط ليصل إلي مرحلة يسمونها الارهاب وبذلك يصبح التعليم الجديد أداة للاندماج في ثقافة الغرب وقيمه والتقدير الوافر لها ولفرصها في العمل ويكفي هنا أن نشير إلي دعاوي اليمين المسيحي الصهيوني في أمريكا،وتنظيرات هنتنجتون وفوكوياما في اعتبار الإسلام العدو الحالي لحضارة الغرب في صراع الحضارات بعد زوال الاتحاد السوفييتي عدوهم السابق وثمة علاقة بين اتفاقية الدول الثماني الكبرى فيما عرف بمشروع الشرق الأوسط الكبير، من أجل إعادة تشكيل خريطة المنطقة،وتفكيك الروابط التاريخية والثقافية بين الدول العربية،

وإذ تعتبر تدريس اللغة العربية والتعليم من خلالها عقبة في تحقيقه وينبغي العمل علي استبداله بلغة أجنبية، بما يعين علي التخلخل الثقافي، بل ذوبان ما تبقي من عوامل التواصل والارتباط في دائرة الوطن الغربي وباختصار فإن موجة التعليم باللغة الأجنبية، إنما تتجه في تعليمها إلي الخارج، إلي السوق العولمي إلي إنتاج فرد السوق، لا المواطن العربي المسلم يتم ذلك في مؤسسات وثقافات تتسرب دون وعي يقظ منا لأهدافها المستترة تحت مظلة نشر العلم والمعرفة الجديدة لصالح سياقنا الإنمائي والحضاري والديمقراطي وهو شعار حق يراد به باطل **t**قد تؤدي إلي ذوبان هويتنا الحضارية، وانسلاخ أجزاء الوطن العربي من ثقافتها وتراثها الحي ولغتها ومصالحها.

العولمة واللغة العربية: لعل أهم أثر من آثار العولمة هو ذلك المتفق عليه بين أغلب المفكرين والمنظرين السياسيين والتربويين، أن العولمة تفرض سياقاً ثقافياً واحداً، وتحارب التعدد الثقافية، ومنها اللغوية بطبيعة الحال، ومحاربة العولمة للتعدد الثقافي اللغوي حتمي،إذ إن القوة السياسية والاقتصادية تفرض بالمؤكد واقعاً ثقافياً ولغوياً تابعاً ومجسداً، شئنا أم أبينا، فنحن عندما نكون الأضعف سنكون حتما تابعين مستهلكين غير منتجين، وهذا يفترض بالضرورة التعامل مع المنجزات الثقافية والسياسية والتكنولوجيا بما يريده لها أصحابها، وإن حافظت العولمة على بعض التنوع الثقافي اللغوي فهو لا يتعدى أن يكون هامشياً ومحصوراً لا ينافس اللغة والمنتج والثقافة التي يسوقها أصحاب العولمة ومصدروها، وعلى الحكومات القائمة في العالم العربي أن تستشعر هذا الخطر

استبعاد اللغة العربية في العملية التعليمية : وهذا خطر عميق الأثر فقد شكلت اللغات الأخرى التي يتعلمها الطفل خاصة في مراحل العمر الأولى من الصف الأول الأساسي وحتى الصف الرابع الأساسي خطراً حقيقياً على تعلم اللغة الأم وإتقانها،والطالب بهذا يتلقي لغة جديدة، وتداخل نظامين لغويين في عقله وتفكيره،وما يفرضه ذلك من اختلاف في كتابة كل لغة سيجعل الطالب متأثراً سلبياً في إتقان اللغتين معاً، مما يولد جيلاً ضعيفاً لغوياً في المهارات التي تطمح كل لغة أن توجدها عند المتعاملين فيها ،ويزداد هذا الخطر كلما تقدم الطالب في مراحل التعليم،لتحل اللغات الأجنبية محل العربية في التعليم الجامعي، فتنقطع الصلة بين المتعلم ولغته القومية،ويصبح تابعاً ثقافياً وحضارياً لغيره.

اللغة العربية وخطر ضياع الهوية الوطنية

إذا كانت المناهج الدراسية تلعب دوراً كبيراً ومؤثراً في تشكيل الهوية الوطنية، فإن اللغة هي قلب الهوية الوطنية وروح الأمة،وهي أداة الفكر التي يعبر بها الإنسان عن واقعه وهمومه وطموحه وإبداعه، والإطار الذي يتم من خلاله الانتماء والولاء للدولة والأمة والمؤشر على قوة الأمة أو ضعفها لذلك فإن كل الدول تحرص بقوة على تجنيد كل الوسائل للحفاظ على لغتها الوطنية من أي تأثيرات ضارة والدفاع عنها في مواجهة تأثير اللغات الأخرى، حتى لا يحدث لها ما حدث لباقي اللغات التي ماتت؛ فهناك ٢٥ لغة تموت سنوياً كما تشير الأبحاث العلمية من مجموع اللغات التي يقدرها الباحثون بحوالى ٦٠٠٠ لغة،والتي تتوقع الدراسات أن تختفي منها ٣٠٠٠ لغة مع انتهاء القرن الحادي والعشرين ولغتنا العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لغة العبادة والثقافة والحضارة الإسلامية واللسان المشترك، الذي يجمع أكثر من مليار مسلم على وجه الأرض، هي لغة التفكير العلمي والإبداع والابتكار الذي يحقق للأمة القوة والطاقة والإنجاز والاختراع والتقدم، لا نريد لها أن تتعرض لمثل هذا الخطر، خاصة بعد أن أدرك أعداؤها أنها هي السبب في قوة هذه الأمة ولعل ما يفسر لنا ذلك، ما ذكره الكاتب البريطاني جي أتش جانسن في كتابه الإسلام المقاتل عندما قال: إن الإنجليز والفرنسيين عندما كانوا يستعدون في بداية القرن العشرين لجعل المنطقة التي تسيطر عليها الدولة العثمانية مناطق نفوذ خاضعة لسيطرتهم واستعمارهم

، قاموا بإجراء بحوث ودراسات كثيرة لمعرفة أسباب قوة وصلابة الإنسان العربي المسلم، وتمكنه من تحقيق انتصارات وفتوحات كبيرة وواسعة من الهند إلى المحيط الأطلسي، فوجدوا أن أهم سبب كان يكمن في طريقة تعلم الطفل العربي، فهو يتعلم القرآن والكتابة قبل سن الخامسة، ويختم حفظ القرآن الكريم الذي يحتوي على أهم وأفصح التراكيب اللغوية في اللغة العربية، فيتقنها وعمره لا يزيد على السادسة، لذلك خطط الإنجليز والفرنسيون عدة أمور أهمها، العمل على إضعاف الكتاتيب التي كان يتعلم فيها الأطفال العلوم الدينية واللغة العربية وجعلها مقصورة على أولاد الفقراء، وإنشاء مدارس حكومية للطبقة المتوسطة يدخلها الأطفال بعد السادسة، ومدارس أجنبية لأولاد الأغنياء يكون تدريس الإنجليزية فيها بدرجة أقل مما يدرس في الغرب بهدف تكوين طبقة تتعامل مع الأجنبي المحتل وتصبح غريبة عن مجتمعها وغريبة عن المجتمع الذي تتشبه به في الغرب حتى تظل دائمة الشعور بالنقص، ليضمن المحتل الأجنبي ولاء هذه الطبقة وما يحدث اليوم للغة العربية هو نفس المخطط، بل أخطر مما حدث أيام الاستعمار، خاصة بعد أن تحول التعليم في المدارس والجامعات إلى اللغة الإنجليزية، وأصبحت الإنجليزية هي اللغة الأولى في غالبية المؤسسات والقطاعات المختلفة، البنوك والفنادق والشركات والمراكز والمحلات التجارية إلخ

أجيالنا الجديدة أصبحت لا تتحدث أو تكتب أو تفكر أو تقرأ باللغة العربية، لا تفهم لغة العبادة ومعاني القرآن الكريم وخطبة الجمعة، هناك الكثير من الآباء والأمهات يشتكون بمرارة من هذا الموضوع .

اللغة العربية بين الخطر الخارجي و التهميش الداخلي

اللغة العربية كانت من عهد الرسول ﷺ قبل ١٤٠٠ سنة تقريباً ومعظم العلماء كانوا عرب مثل ابن سينا والحسن بن الهيثم لكن هذه اللغة بدأت فى الاندثار من قبلنا نحن العرب لوجود اللغة الانجليزية في حياتنا اليومية وعندما نتحدث بين بعضنا البعض ونستخدم كلمات مثل(ok)(face)(book) (go)و(chat)الخ..بلا داع وهذا ما يسمى بالتهميش الداخلي للغة لاننا نحن العرب لا نعترف بلغتنا وندمج اللغتين والخطر الخارجي هو المدارس والمجتمع العلمي والعملي يتطلب منا استخدام اللغة الاجنبية والتعامل بين الدول باللغة الاخرى الغير العربية

آثار تعلم لغة أجنبية فى سن مبكر

اضطرابات النطق والكلام:

أثبتت البحوث التربوية التجريبية أن ازدواج اللغة عاملاً أساسياً من عوامل حدوث اللجلجة في النطق والكلام، حيث أن نسبة كبيرة من المصابين بالتهتهة كانوا من مزدوجي اللغة أثناء دراستهم وتحصيلهم حيث أن الطفل بصورة خاصة في حالة ازدواج اللغة ومنذ سن مبكر لا يفكر بأية لغة ولا يركز على واحدة من اللغات التي يتعلمها مما يؤدي به إلى مشاعر النقص والسلبية تجاه ذاته ومدرسته وتظهر هذه الحالات من اضطرابات الكلام في مرحلة الطفولة المبكرة لاسيما في العمر من سنتين إلى خمس سنوات خاصة لدى الأطفال الذين يعيشون في أوساط أسرية واجتماعية تعاني من ازدواج اللغة إما نتيجة الاضطراب في التركيبة السكانية أو نتيجة وجود الخدم والمربيات الأجنبيات اللواتي يتكلمن لغات مختلفة عن لغة الطفل الأساسية خاصة أنهن يقضين مع الطفل فترات زمنية طويلة،وفي هذه المرحلة بالذات فإن المسألة تغدو أكثر تعقيداً سيما وأن الطفل لم يتمكن بعد من لغتة الأساسية.

لذلك يوصي علماء النفس اللغوي بعدم تعليم الطفل في هذه المرحلة أكثر من لغة واحدة وعدم اكسابه لغات أخرى قبل أن يكون قد أتقن لغته الأم وتمكن من التكلم بها بطلاقة وثبتت في ذهنه بشكل جيد حيث أن تعلمه أكثر من لغة في هذه المرحلة سوف يحدث لديه مزيداً من الخلط والارتباك والتشويش والنقص مما يوصله إلى اضطرابات نفسية خطيرة حيث أن الصراعات النفسية التي يكابدها الطفل في هذه المرحلة تهدد توازنه العقلي، وينعكس هذا الاختلال في آلية الكلام بشكل أو بآخر،وقد ينعكس على شكل أمراض سيكوسوماتية وسلوكية مختلفة ولا تزال الدراسات التربوية والنفسية مستمرة لتحديد العمر الذي يتمكن فيه الطفل من أن يصبح مزدوج اللغة دون أن يؤثر هذا في لغته الأساسية وتفكيره وتعبيره وشخصيته، ويعتبر اكتساب اللغة الثانية أمراً مختلفاً عن اكتساب اللغة الأولى فهو مرهون من حيث السرعة والاتقان بعوامل عديدة منها:

البيئة اللغوية الطبيعية: حيث أن تعلم اللغة الثانية في بيئتها وموطنها أفضل من تعلمها وسماعها في بيئة غريبة عنها أو في غرفة الصف مثلاً.

دور المتعلم: ففي البيئة الطبيعية للغة تكثر مشاركته ومحادثته واستعماله للغة الثانية بينما في البيئة الاصطناعية يكون قليلاً.

استخدام المحسوسات: فإذا استخدمت المحسوسات بغية تعلم هذه اللغة الثانية يكون تعلمها أفضل وأكثر واقعية وتشويقاً.

التغذية الراجعة: حيث يحتاج المتعلم إلى تغذية راجعة، أي تعزيز، ليعرف إن كان أداؤه صحيحاً أم خاطئاً.

العمر والاستعداد المناسب: فلابد لكل مهارة يراد اتقانها من الوصول لسن مناسب بغية اكتسابها وتعلمها.

الاسترخاء: فإذا جرى التعلم في جو نفسي مريح فسيكون أسرع اكتساباً.

تأثير اللغة الأولى: إن اللغة الأولى بقدر ما تختلف عن اللغة الثانية في أصواتها ونغماتها ومخارجها بقدر ما ينتقل أثر التعلم السابق انتقالاً سلبياً وتسبب هذه الاختلافات اضطرابات نفسية مختلفة عند الطفل واضطرابات كلامية متنوعة.

ولابد أن نذكر أن هناك فرقاً بين عوامل اكتساب اللغة الأولى واكتساب اللغة الثانية ومنها:

الدافع: فدافعية الطفل عند تعلم اللغة الأولى تكون في أوجها فهو في حاجة ماسة للغة كي يتفاهم بها مع أسرته وأصدقائه ويعبر بها عن حاجاته وأفكاره وفي تعلم اللغة الثانية لا تتوفر مثل هذه الدافعية.

البيئة اللغوية: مع تعلم اللغة الأولى تكون البيئة اللغوية طبيعية وواقعية لكن مع تعلم اللغة الثانية فإنها على الأرجح تكون ضمن بيئة مشوهة.

المران: مع تعلم الطفل اللغة الأولى يتدرب عليها ساعات طويلة ولكن مع تعلم اللغة الثانية لا يتاح له سوى جزء من الوقت في اليوم.

التعزيز: مع اللغة الأولى يتاح للطفل أن يعزز أدائه اللغوي بشكل كبير وفوري لكن مع اللغة الثانية يقل التعزيز لأن المعلم مشغول بعشرات الأطفال في وقت واحد.

الاسترخاء: مع اللغة الأولى يكون الطفل في أفضل حالة نفسية إذ هو مع أمه يشعر بحنان وعطف لكن مع اللغة الثانية لاتتوفر له الدرجة ذاتها من الاسترخاء فهناك ضغط المعلم والأصدقاء والمنافسة.

العمر: يتعلم الطفل اللغة الأولى في سنواته الأولى أما اللغة الثانية إذا تعلمها في سنوات عمره المتأخرة فإن قابليته للتعلم تكون ضعيفة.

المشاعر: عندما يتعلم الطفل اللغة الأولى لا تكون لديه مشاعر عدائية نحوها فهي لغة أمه وأبيه وأحبائه، أما تعلم اللغة الثانية فقد يكون مصحوباً بمشاعر عدائية لها وللقوم الذين يتكلمون بها.

وهكذا نجد أن الطفل أثناء اكتسابه اللغة الأولى أفضل حالاً من الناحية النفسية والفكرية والواقعية بسبب التعزيز والمران وغيرها من العوامل.

التداخل اللغوي: عندما يتعلم الطفل لغة ثانية فإنه يتعرض لتداخل مع اللغة الأولى ويظهر هذا التداخل سواء أثناء أدائه اللغوي للغة الثانية أو الأولى، ويسير التداخل من اللغة الأكثر هيمنة إلى اللغة الأقل هيمنة، والتداخل الذي نقصده هنا هو انتقال سلبي لأثر التدريب وهو ظاهرة غير مرغوبة في الأداء اللغوي، وقد يحدث التداخل من لهجة إلى لهجة في اللغة ذاتها، كأن تدخل العامية في الفصحى أو الفصحى في العامية ويدعى هذا تداخلاً داخلياً أما إذا كان التداخل بين لغة وأخرى فيدعى تداخلاً خارجياً، ويشمل التداخل الأشكال التالية:

التداخل الصوتي: ينطق الطفل صوتاً من اللغة الثانية مثل صوت يقاربه من اللغة الأولى، كالطفل العربي ينطق **V** الانجليزية كنطق ف العربية أو ينطق **P** مثل ب.

تداخل الصرف: قد يجمع الطفل الاسم أو يثنيه في اللغة الثانية مثلما اعتاد في اللغة الأولى.

تداخل المفردات: أي أن يدخل الطفل كلمات من اللغة الثانية إلى الأولى أو العكس وأغلب ذلك يقع في الأسماء والصفات والأفعال.

التداخل النحوي: وهنا يحدث التداخل بين اللغتين من حيث ترتيب الكلمات أو إضافتها أو حذفها.

التداخل الدلالي: قد ينتقل معنى كلمة من اللغة الأولى للثانية أو من الثانية للأولى رغم اختلاف الكلمات في المعنى.

التداخل الحركي: وهنا ينقل المتكلم الحركات المصاحبة للأداء اللغوي في اللغة الأولى إلى الثانية أو العكس وتشمل حركات الأصابع واليدين والرأس والعينين والجسم.

إذا تعرض الطفل ثنائي اللغة إلى حادث أو إصابة مخة أو حالة نفسية معنية فقد يترتب عليها حبسة كلامية للغتين كلتيهما، وبعد مرور هذه الأزمة فقد يستعيد اللغتين بشكل متواز وقد يستعيد واحدة أفضل من الثانية أو قد يستعيد واحدة ولا يستعيد الأخرى وهناك حالات من الاستعادة الانتقائية أيضاً وقد فسر علماء نفس اللغة هذا على أساس أسبقية التعلم للغة وعلى أساس شيوع اللغة وهيمنتها،والحالة النفسية للفرد إذ أن استعادتها مرتبطة بحالته النفسية وموقفه من هذه اللغة قبل الحادث أو بعده،وهذه الحالة تؤثر في سرعة استعادة اللغة إضافة إلى فرض التعرض اللغوي ومدى المعرفة اللغوية حيث أن اللغة الأكثر معرفة وشيوعاً هي التي تكون استعادتها أولاً.

وهكذا نجد أن ازدواج اللغة تؤثر في اللغات التي يتعلمها الطفل خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، فحين يتكلم لغة تختلف عن لغة أصدقائه أو مدرسته أو يضطر إلى تعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا زال فيه يتعلم لغته الأم، فإن ذلك يربك مهاراته اللغوية ويؤخرها في اللغتين كلتيهما، وقد بينت الدراسات أن تعلم لغتين في آن واحد يحدث تعطيلاً في تقدم الأطفال اللغوي، ويبدو أن تعلم كلمتين لشيء واحد أو لفكرة واحدة ونظام قواعد لغتين يؤدي إلى التداخل في تفكير الطفل وإلى تعطل كلامه وظهور الاضطرابات الكلامية عنده.

<u>غرباء في مجتمعهم</u>

ويشرح د فؤاد السعيد المفهوم التقليدي للتعليم وهدفه الرئيسي، وهو تحقيق وحدة ثقافية للأجيال، بحيث يحصل النشء الجديد على أساسٍ من الثقافة الوطنية، ويقول: هذا موجودٌ في كلِّ دول العالم، بحيث نحصل على خريجين تمَّ تعليمهم في مجالاتٍ علميةٍ مختلفة وتخصصات متباينة، لكنهم حاصلون على نفس الأساس من الثقافة الوطنية الواحدة.

ويرى أن مايحدث الآن مع تنوع المناهج والمدارس واللغات هو أن الشباب يدرسون مواد الهوية بشكلٍ متباين،هؤلاء الأبناء تحدث لهم غربة داخل مجتمعهم،ومع الوقت يفقدون الأحساس بالانتماءِ إليه، وعلى الجانب الآخر نجد أن هؤلاء الخريجين ونظرًا لإمكانياتهم العلمية المتفوقة، وإمكانياتهم المادية أيضًا سيكتسحون سوق العمل، فهم الطبقة التي أتقنت اللغات الأجنبية وأدوات التواصل العالمية من إنترنت وحاسب، ويحملون مع خريجي نفس هذه النوعية من المدارس على مستوى العالم نفس أنماط التفكير وطرق التحليل، وبالتالي فهم قادرون على التعامل مع الشركات عابرة القارات، وهذه الشركات بالفعل تطلب وظائف ذات مواصفات خاصة، أما الخريج من الجامعات والمدارس الأهلية فلن يجد مكانًا على الساحة، وهذا سيُحدث تغييرًا واضحًا في الخريطة الطبقية خلال سنوات قليلة وستكون آثاره الاجتماعية أكبر بكثيرٍ مما يتصوره البعض؛ لأننا سنجد طبقة الاقتصاد العالمي ورجال الأعمال في مقابل طبقاتٍ وسطى ودنيا التفاوت بينهما كبير جدًّا، ولا بد من دراسة هذا الوضع وتوقع نتائجه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية

والمقلق أن الطبقة العليا التي من المفترض فيها أن تكون القاطرة التي تجر المجتمع لمزيدٍ من التقدم،هذه الطبقة في الأغلب نشأت في الصعود الأخير وتحمل مؤشراتٍ سلبية،بل تحمل قيم الفهلوة والمضاربة غير المحسوبة والأنانية الشديدة وعدم الاستعداد للعطاء أو العمل الخيري أو الاجتماعي والأهلي؛ بل إنهم يجتهدون في التهرب الضريبي، وفي حوادث متفرقة ظهر منهم صورٌ من الاستهتار وعدم احترام العرف والقانون والاستقواء بالمال والسلطة، ولا يبدو أنهم يحملون قيم احترام العمل والجهد والتميز.

ويطرح د السعيد حلاً للخروج من هذه الأزمة بإشراكِ بعض رموز النخبة المثقفة والشخصيات العامة المستنيرة لتحديد الاتجاهات الرئيسية لتطوير التعليم وليس الاكتفاء بالخبراء التربويين الذين هم في الأساس موظفون منتمون ومتمسكون بالمنظومة الفاشلة التي اعتادوا عليها، وعلى وزارات التعليم التفاوض مع مدارس دولية لتدريس مواد وطنية بجانب المواد الأساسية الخاصة بكل مدرسة،ولتكن هذه المواد ولو كحصص استماع، ويمكن الضغط على المدارس عبر رفض الاعتراف بخريج هذه المدارس ما لم يدرس هذه المواد.

الباب السادس

الدول المتقدمة والحفاظ على الهوية

☆☆☆

شعْبٌ لا يتكلّم لُغته لا يصنع حضارته

إذا كانت العناية بتداول اللغة داخل مجتمع مؤشر على درجة تحضره، فهيمنة لغة أجنبية على مجتمع دليل على تخلف ثقافي وحضاري، والشعب الذي لا يعتز بلغته،ويحرص على التحدث بها،ويحافظ على تداولها في تواصله اليومي، لا يمكنه إلا أن يكون شعباً خارج الحضارة والتاريخ، وهذا الحال ينسحب على كثير من العرب، الذين أصبحوا يتواصلون بلغة مشوهة، ليس فقط داخل العمل الوظيفي،إنما حتى داخل البيوت، فقد أصبحت الأسر العربية تتواصل مع أبنائها بلغة بعيدة عن العربية السليمة في تطبيع مريب مع هذا الاختراق، دون إدراك لخطورة ذلك على مستقبل الأجيال القادمة ثقافياً وفكرياً، كما لو كانت تلك الأسر لا تملك لغة خاصة بها، أو أنها لغة فقدت صلاحيتها.

عندما وطأت قدما المستعمر بلادنا، كان هدفه الأساسي، إضافة إلى أهداف أخرى سياسية واقتصادية،طمس الهوية الحضارية للعرب، ومن أهم مقومات هذه الهوية،اللغة العربية التي عمل على تهميشها في المدرسة والإدارة وقام بفرض لغتة عليهم، وجعلها لغة العلم والعمل، ومع ذلك، لم يتمكن من القضاء البات على العربية من التداول اليومي، بفضل وجود نخب ثقافية وسياسية تحمل وعي المقاومة للغزو الثقافي، ولم يخرج من دول العرب، إلا بعد أن اطمأن على مصالحه، ومن بينها ضمان بقاء لغته مهيمنة على التعليم والإعلام

وهذا ما يُفسِّر كون العرب لا يزالون مرهونون فكرياً وثقافياً للمحتل السابق ، حتى بعد رحيله عن بلادنا،على تفاوت بين بلدانه لأن الثقافة الغازية ظلت مهيمنة على التعليم والإدارة والإعلام وأفرزت نخباً تجيد لغات أجنبية في مجالات الثقافة والسياسة والاقتصاد، تعادي اللغة العربية، وتحارب بكل الوسائل لبقاء اللغات الأجنبية مسيطرة لتشعره بالتميز ولغته هي المتفوقة والسائدة في المؤسسات التعليمية والإدارية، وليست معنية إطلاقاً بقضايا الهوية الوطنية، إنما تدافع فقط عن مصالحها الذاتية المرتبطة بمصالح المحتل السابق والغازى ثقافياً حالياً،وتوظف لحمايتها نفوذها المالي والسياسي، حتى تبقى الثقافة الأجنبية مسيطرة في مجالات التعليم والإدارة والإعلام، والإمعان في تهميش العربية، من خلال مخطط دمج العامية في التعليم الأساسي ولم نعد نستغرب أن يتحدث المسؤولون العرب في الندوات والمؤتمرات واللقاءات الثقافية والعلمية الوطنية والدولية باللغة المشوهة، فهم لا يتقنون غيرها، وحتى لو كان أحدهم يحسن التحدث باللغة العربية، فإنه يفضل غيرها، اعتقاداً بأنها لغة أرقى من العربية لكن كون المسؤولين في بلادنا غير معنيين بالارتقاء باللغة الرسمية والحفاظ عليها، رغم أن بعض الدساتير تنص على ذلك، لايعني أن يتخلى المجتمع عن لغته الأم التي تمثل التاريخ والجغرافيا والدين والثقافة، ولا أحد ملزم بالحديث باللغة الأجنبية، وهي مجالات يبقى الاختيار فيها للأفراد لكي يتحرروا من هذا الغزو الثقافي المفروض على المجتمع، بل ينبغي أن يكون دافعاً لكي يجتهد كل واحد في التواصل بها داخل الأسرة وخارجها، لأن التخلي عن لغة البلد يعكس غياب الوعي بأهمية الحفاظ على الهوية العربية التي تشكل اللغة أحد أركانها الأساسية

فإذا كان المجتمع خلال فترة الاحتلال، قاوم الهيمنة العسكرية والسياسية، فإنه في نفس الوقت كان يقاوم الغزو الثقافي،أما اليوم فالمجتمع لا يبدي أية مقاومة في مواجهة هذا التغول للغات الأجنبية، دون وعي بالآثار السلبية على هوية الأبناء وتكوينهم الفكري والثقافي،وهذا للأسف ينطبق حتى على بعض الأسر المحافظة، التي تحرص على تربية أبنائها تربية إسلامية أصيلة، لكنها عن وعي أو دون وعي لا تستعمل العربية في التخاطب مع أبنائها ومعظم العرب أصبحوا يتحدثون لغة هجينة، تخلط العربية بالانجليزية والفرنسية وفي كثير من الأحيان دون وعي منها، فمثلاً أصبح معظم الرجال عندما يتحدثون عن زوجاتهم يسمونهن المدام، وإذا أراد أن يشكرك يخاطبك ميرسي وهكذا أصبحت اللغات الأجنبية سواء الانجليزية أو الفرنسية تفرض نفسها علينا في لغة التخاطب اليومي،وهذا السلوك الخاطئ أصبح عاماً، نتيجة الاختراق الأجنبى للمجتمع، فالكل يتحدث بتلقائية بعبارات وكلمات أجنية، من غير أن يكون لديه الوعي بضرورة مقاومة هذا الغزو اللغوي، وهذه المقاومة الفردية، يمكن أن يقوم بها كل واحد منا، بحيث يحرص في كلامه على عدم استخدام مصطلحات أجنبية، ويجتهد محاولاً الحديث بالعربية، وأن يعتز بذلك، وأن لا يدع أي شعور بالنقص أو الحرج يعتريه، وهذا ليس بالأمر الصعب، إذا توفرت الإرادة والعزيمة لتحرير ألسنتنا من لغة ليست لنا، وتحرير أنفسنا من عقدة الأجنبي، فمثلا عوض أن يسمي الرجل زوجته بـالمدام أن يقول: امْراتي كما كان يقول آباؤنا،

وهي كلمة عربية فصيحة أُسقط الهمز تخفيفا، كما قال نبي الله زكريا لمّا بشّره الله بيحيى عليهما السلام: (قالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)، أو يقول: الزّوجة بالجزم للتخفيف، كما هي عادة بعض العرب اجْزم تُسلم، وكذلك مثل كلمة بابا وماما وقس على ذلك كثير من الكلمات التي نتداولها ويمكن استبدالها بكلمات عربية وعندما نستحضر في حياتنا اليومية هذا الأمر، سنكون فعلاً مقاومين بالمعنى الحضاري للكلمة، فليست المقاومة دائماً بالسلاح، إنما بالوعي والاعتزاز بلغتنا وبقيمنا الحضارية، والدفاع عنها في تخاطبنا اليومي، وتجنب استخدام اللغة الأجنبية، وإذا لم نجتهد ونجدّ في إعادة الاعتبار للغتنا الأم، وتحمل مسؤولية تلقينها لأبنائنا، فسنساهم في تخريج أجيال بدون هوية ومقطوعة الصلة بتاريخها.

فإذا كان الانفتاح على اللغات الأجنبية أصبح أمرا واقعا فرضته العولمة، فلا يعني ذلك الاستلاب الثقافي، والتبعية اللغوية والفكرية، وفرض لغة أجنبية على المجتمع، في التعليم والإدارة والإعلام تحت ذريعة الانفتاح، فهذا يسمى استعمار ثقافي، لأن الدول المتقدمة لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بلغاتها الأصلية، ولم تقم حضارة في التاريخ من دون أن تجعل اللغة الأم لغة العلم والعمل والتواصل، وبالتالي، لا يمكن لأمة أن تنهض من تخلفها، دون أن تحافظ على هويتها الثقافية، وفي مقدمتها اللغة، والشعب الذي لا يعتز بلغته، لا يمكنه أن يصنع حضارة.

وضع الطفل العربى :

إن الطفل العربي يعد من مقتنيات الأسرة تفعل به ما تشاء تخرجه للعمل في سن صغيرة،حتى في أعمال غير مصرح بها سواء أخلاقيًا أو صحيًا، تهمل رعايته الصحية ،ولا توجد قوانين جزائية في أي حالة إهمال سوى تأنيب الضمير أما الأطفال سعداء الحظ الذين ولدوا لأسر متفتحة تعمل على تعليمهم فنضغط عليهم بمناهج مكثفة وقبل أن يعي لغته وهويته نعلمه لغة أجنبية ونشتت فكره ومصطلحاته وبسب كثافة الحصص أو ضيق الوقت أو سوء حالة المدرس النفسية نجده لا يتجاوب مع الموهوبين وغير مؤهلٍ لمراقبة المتفتحين وتشجيعهم فنصيبهم في النهاية باليأس والإحباط وفي النهاية نجد أن حوالي ٢٠ % من يأخذ العملية التعليمية على أنها أمر واقع و٥٠% من الفتيات يأخذنها على أنها المتنفس الوحيد لخروجهم واختلاطهم.

لذا وجب اليحث عن حل لمشاكل التعليم التى يعرف جميع من لديه وعى أن التعليم مشاكله فى المقام الأول قرار سيادى ورغم ذلك وللإفلات من تبعة المسؤلية والأمانة العلمية نعرض بعض الحلول المطلوبة لدعم النُّمُوّ اللُّغويّ عند الطِّفل العربيّ في ظِلِّ مجتمع المعرفة:

أ- تفعيل دور الشباب العربي في المجتمع:

فدور الشباب مستقبل الطفل العربي ورائده قي تنمية المجتمع معروف وهو في النهاية صاحب كل تطبيق ومهد كل نبتة تمثل قيمنا ومُثُلنا فلو فسد المهد فسد النبت كله ومن الملاحظ على كل المؤتمرات التي تدعو لفكر ما أنه لا رواد لها من الشباب أو الرواد منه قليل ربما لمجاملة أساتذتهم أو محاولة إثبات أن لهم فاعلية وللآسف أيضاً إذا ما ارتادوها فلا مشاركة فعلية لهم .

<u>وضع الطفل في المجتمعات المتقدمة</u>

ما أدركته المجتمعات الراقية مثل الدول الأوربية وأمريكا التي يعتبر الطفل فيها منتميًا للدولة أكثر من انتمائه تعد الطفولة هى الثروة الحقيقية لأي مجتمع لأسرته وفي أي وقت يُثبت عدم اهتمام الأسرة أو توفير الإمكانات المتاحة له ،لكي ينمو سويًا جسديًا ونفسيًا ومتفوقًا في أي مجال يمكنه الإبداع فيه ، عندها تتولى الدولة كفالته أو إعطاءه لمن يكفله ويقدم له هذه الخدمات والمَدْرسة تساعد الأسرة في ذلك وتبحث عن المبدعين والموهوبين وتنمي فيهم هذه القدرات أما في اليابان فتعمل الدولة على حث الأطفال على الإبداع والاختراع بالمسابقات والجوائز كذلك تهتم المدارس اهتماماً شديدًا بربط التطبيق العلمي بالبحث النظري بنظريات مدروسة لتنمية عقل الطفل ومراقبة سلوكه العلمي والنفسي أولاً بأول والبحث عن أسباب أي قصور إن وجد ولا تكتفي الدولة بذلك

بل أن شاغلها الشاغل قضية الانتماء والهوية واللغة والسمات القومية بما في ذلك من حضارة وثقافة اليابان حتى يكون الطفل وجهاً مشرقًا للمستقبل القريب ولقد نشرت الصحف اليابانية عن خبر أرق الحكومة والأفراد وهو ملاحظات عن سلوك الأطفال التي أصبحت لا تحترم الضيوف الأجانب بالقدر الكافي في نظرهم مما يسئ للواجهة اليابانية عالمياً وطالبت المدرسة والبيت بعلاج هذا الخلل على الفور والبحث في أسبابه والقضاء عليه أما أطفالنا فتدمع العين على أحوالهم والبحث لا يريد أن يخوض في هذا لأنه موضوع يطول شرحه وتعيه الأغلبية وفى المنطقة العربية لاحظنا على الأطفال عدم احترام الكبار – عدم احترام المدرسين – حب الثقافات الأجنبية والنظرة لها على أنها قمة الحضارة – كره اللغة العربية – كره الهوية العربية- انخفاض المستوى العلمي فماذا فعلنا!! غضبنا وشجبنا ثم استسلمنا بدعوى أنها مشاكل كل أسرة وكل مدرسة ومشكلة الجيل وتساءلنا ببلاهة هل نستطيع أن نقوم جيلاً ؟ والرد الجاهز (هو أنت اللى هتصلح الكون ؟)نعم ،وبلداً، وشعباً بخطط مدروسة – بالعودة لمبادئ الدين الصحيحة – باعتبارها قضية حياة أو موت – باعتبارها جبهة حرب ضد العدو – باعتبارها قضية عرض ،فالأخلاقيات الجديدة الوافدة فاسدة لأبعد حد،باعتبارها قضية اقتصاد- قضية مصير – قضية مستقبل –أهم قضية لا تبنِ مصنعاً وابن شاباً يصنع المصانع – لا ترصف طريقًا وخد بيد شباب يمهد الطريق – لا تبنِ قرية سياحية وابنِ ولو حتى مدرسة- لا تشتري تليفونًا محمولاً وابعث نداء للشباب بالعودة للطريق الصحيح ، ودائما ما أقول لا تطور المكان قبل الانسان فلو أتيت بكلب إلى قصر فماذا يصنع؟ أما لو طورت إنساناً وتركته فسوف يطور ما حوله ويصلحه بنفسه .

حلول مقترحة من دراسات متخصصة

ومن الحلول المقترحة من الدراسات التى ناقشت مشاكل اللغات الأجنبية وتوصياتها:

- إعلان قوانين لحماية الطفل العربي فالقوانين الرادعة والعقوبات الصارمة تحول بين أفراد المجتمع وبين كل خطأ والقوانين الأجنبية جميعها تعطي الطفل وهو جنينٌ في بطن أمه حقوقه كاملةً وترعاه وتراقبة خطوة بخطوة مما يؤهله للعطاء والإبداع فيجب أن تتوفر في المجتمع العربي مثل هذه القوانين(ورغم وجود تشريعات فى ديننا الحنيف تحمى الطفل اعتباراً من اختيار أمه إلا أننا نميل دوماً إلى الأخذ بما عند أوروبا).

- تبسيط الفصحى والعودة لنشرها بين الناس عن طريق تبسيط اللغة العربية لدارسيها وتيسير النحو باستخدام الإمكانيات الحديثة.

- نشر اللغة في وسائل الأعلام والصحف حتى تكون قريبة من الآذان والمفاهيم.

- التركيز على استخدامها في برامج الأطفال والكتب الخاصة بهم بطريقة مشوقة حتى يألفها الطفل قبل دخول المدرسة أيضاً.

- منع المدرسين من استخدام العامية فى المدارس وتشجيع الطلبة على استخدام الفصحى ويكشف هذا دور مدرس اللغة العربية وظلمه بالمسئولية الملقاة على عاتقه إذا إننا عندما نطالب بتأهيله لتحمل دوره يجب أن لا نتغافل عن شركائه في هذا الدور من مدرسي جميع المواد إذ أنه لا يوجد مدرس لغة عربية ولكن كل مدرس يجب أن يدرس باللغة العربية بمعنى أن هناك مدرس نحو وشعر وبلاغة غير أن مدرس العلوم عليه التحدث باللغة العربية بأسلوب عربي وعليه أن يحاسب طلابه على الخطأ في الأسلوب والأخطاء الإملائية والنحوية أيضاً وبهذا التكثيف يمكن للطالب أن يعي لغته الأم ويتقنها هذا الكلام يقودنا للبحث عن كيفية تأهيل كوادر جديدة من المدرسين تستطيع فعلاً القيام بهذا الدور وإعادة تأهيل الفئة الموجودة الآن فعلاً.

- العودة لتحفيظ القرآن الكريم والأشعار البليغة والنثر ذى القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة.

- محاربة تدريس اللغات الأجنبية في سن مبكرة بسبب آثاره السلبية في إعاقة القدرة على التعبير والاستيعاب وتحقيق القدرة على الابتكار ولكن يجب أن ندرك أيضاً أن دراسة اللغة الأجنبية ذاتها يمكن أن يدعم اللغة القومية إن دراسة اللغات الأجنبية قد تساعد على فهم اللغة القومية حيث تخدم اللغات بعضها البعض ودراسة لغة ثانية دراسة واعية متعمقة يرقى بنا لجوانب خفية عنا في لغتنا الأم ويسمى هذا العلم بعلم اللغة التقابلى ولهذا العلم أهميته في توظيف اللغات الأجنبية لخدمة اللغة العربية كذلك يجب دراسة اللغة العربية نفسها

والغوص فيها وكيف استوعبت منجزاتها ومصطلحاتها العلمية والحضارية على سبيل المثال المصطلح اليوناني في الترجمات العربية القديمة ثم انتقل هذا المصطلح إلى اللاتينية ومثل هذه الدراسات تؤدي لتأصيل الجذور العربية.

- إعادة النظر في مناهج مدارس اللغات، وتنقيتها وبسط سيادة الدول العربية.

- للتعليم رافد واحد، ويترتب على تعدد الروافد التعليمية ضياع شخصية اللغة ثم الأمة ومن ثَم يتأثر الرأي العام.

- وضع ضوابط ومعايير علمية وموضوعية لاختيار النصوص وتدرجها في الفهم.

- ضرورة الاهتمام بالترجمة بوصفها أداة للتفاعل بين الثقافات، ونقل معرفتنا وعاداتنا وقيمنا إلى الغير.

- على وسائل الإعلام بث الوعي، والشعور القومي في نفوس أبناء العربية وإقناعهم بأنها لا تقل أهمية عن غيرها من اللغات التي يعتز بها أهلها، ويستعملونها في تدريس العلوم النظرية والتجريبية .

- الاهتمام بالطفل لغويا وثقافيا واجتماعيا.

- الاهتمام بالمحتوى العربي على شبكة المعلومات الدولية لتعزيز الهوية العربية.

- ابتكار خطط ،وعمل دراسات جديدة تدفع استعمار المعلومات وتحمي الهوية العربية من التبعية .

- محاولة غزو المحتويات الأجنبية بابتكار مصطلحات عربية سهلة تجذب المتصفح الأجنبي خاصة بعد الثورات العربية التي جعلت الأجنبي أكثر استشرافا لأخبار هذه الدول والتعرف على ثقافتها .

- عمل مسابقات بين الباحثين التقنيين لعمل برامج آلية باللغة العربية لتصبح بديلاً عن البرامج الأجنبية ، وابتكار برامج جديدة تخدم العلم باللغة العربية، لنعيد دور الريادة مرة أخرى للغة العربية ولكن بشكل تقني .

- تفعيل دور الجامعات والمؤسسات العلمية للاهتمام بالترجمة والتعريب لمعرفة كل ما هو جديد من تقنيات وعلوم ، وتشجيع المؤسسات والمراكز الخاصة بما يخدم الحفاظ على الهوية في عصر العولمة.

- استنهاض الأمة العربية عامة والإسلامية منها بشكل خاص لمواجهة ما تقابله من تحديات كبيرة، وأخطار منظمة ومدروسة، والتي تعمل على محاولة مسخ هويتها، بل إذابتها وتبعيتها لغيرها.

- مواجهة مخاطر انفتاح المعلومات في عصر العولمة يتطلب تجيش طاقات الأمة للتعاون من أجل وضع خطة محكمة، كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية لإنقاذ الهوية العربية.

- عمل بناء متكامل للإنسان العربي ليكون في حجم التحدي، وتربيته على أخلاقيات أصيلة تمنحه مناعة حضارية ، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم الأصيلة، فبدون هذه الخطوة لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم.

- تصحيح المفاهيم الخاطئة التي أصابت ثقافتنا، مما أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع،كما يجب أن نوضح ونبرز المقاييس الثقافية الإسلامية الصحيحة وتفعيلها في الإنتاج الثقافي الذي يحمل مفاهيمها الحقيقية.

- الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية، واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب، وحمايتهم من الوقوع في فلك الانحراف ، وحماية وجود الأمة وغيرها من خطر غزو المعلومات.

- تطوير أدواتنا ووسائلنا، وطريق تصدير ثقافتنا، فنشر ثقافتنا عبر تقنية الشبكات الإلكترونية والفضائيات يمثل أفضل وأسرع الطرق للتأثير في عقول أجيالنا، وكذلك في عقول الآخرين، لا أن نكون مجرد مستهلكين لثقافة الغير ومعلوماته؛ لأن الاستهلاك الثقافي بدون أن نكون منتجين ثقافياً يجعلنا نذوب في ثقافة الآخر ونفقد الثقة في ثقافتنا ومبادئنا.

- وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، خاصة فيما يتعلق بالبرامج التي تحاول سلخنا من هويتنا.

- إنشاء مراكز ثقافية موحدة تهتم بدراسة قضايا العصر، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو حضارية فور ظهورها،ومتابعة تطورها،ووضع تصور سليم للموقف إزاءها، وهذا لا يعني إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، إنما يعني السعي نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة عن التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة.

- الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي وينبغي أن يكون من خلال خطة تضمن إيجابية هذا الانفتاح ، ومجتمعنا لا يمنع الانفتاح الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة.

- دعم الدراسات العلمية التى تهتم بالإجابة على سؤال: كيف حدث صعود اللغة وارتقائها بحيث كانت إحدى دعائم الحضارة الزاهرة، وكيف حدث التدهور في اللغة والذى صاحب التدهور العام؟ الإلمام بتاريخ الحضارة العربية لمعرفة دور اللغة العربية الإيجابى كلغة ثقافة وحضارة وليست لغة دين فقط، حيث استعرب غير العرب وغير المسلمين، ولمعرفة أسباب ازدهار اللغة العربية في وقت ازدهار الحضارة نفسها وقوة الدولة الإسلامية.

- الاهتمام بتنمية شخصية الطفل في مرحلة رياض الآطفال من خلال تأصيل الهوية الإسلامية كمرتكز أساسي لبرامج الطفولة المبكرة برياض الأطفال.

- وضع خطط استراتيجية للتنمية المهنية للمعلمات أثناء الخدمة من قبل كليات التربية، في كيفية اكتساب الأطفال لغتين أو أكثر .

- تأصيل الهوية الإسلامية وتنمية شخصية طفل ما قبل المدرسة كمرتكز أساسي لبرامج الطفولة المبكرة برياض الاطفال.

- التخطيط الاستراتيجي للتنمية المهنية للمعلمات أثناء الخدمة من قبل كليات التربية ، للاشراف التربوي المتخصص على تعليم اللغات الأجنبية في مرحلة الطفولة المبكرة في كيفية اكتساب الاطفال لغتين او اكثر.

- تعزيز أهمية تعليم اللغة العربية في المراحل المبكرة لأنها اللغة الأم والتأكيد على الكيان القومي واللغوي والنفسي للطفل.

- توعية شرائح المجتمع بالطريقة التي يتعلم بها الأطفال اللغة الأم واللغة الأجنبية وأثر تعلم اللغة الأجنبية على اللغة الأولى وعلى التحصيل، والعوامل التي تؤدي إلى نجاح الطلاب في تعلم اللغة الإنجليزية .

- منع وزارات التربية والتعليم تعلم لغة ثانية في مدارسها إلا بعد المرحلة التمكينية للمهارات اللغوية للغة الأم، وهذا عادة كما يقرر بعض التربويين يكون ممكنا ومسموحاً به من الصف الخامس الأساسي وما بعده.

- تشديد وزارات التربية والتعليم على المدارس الخاصة بأن يكون للغة العربية وضعها المعتبر،وأن تكون لتلك الوزارات صلاحية الإشراف المباشر على ذلك، مع توفير كادر تعليمي قادر على فرض واقع لغوي عربي في تلك المدارس، محصنا من الانجراف وراء سياسة تلك المدارس، ووضع قيود على تلك المدارس إن لم تستجب لتلك الإجراءات.

- تعريب التعليم الجامعي في التخصصات كافة، والاستفادة من التجارب الناجحة، ووضع خطة على مستوى العالم العربي لاتخاذ إجراءات عملية وبخطة واضحة الإطار الزمني للانتقال من التدريس الجامعي باللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

- إحياء حركة تعريب وترجمة شاملة لكل العلوم والمعارف والمؤلفات الجديدة المفيدة لتكون عوناً وبديلاً عن المراجع الأجنبية، ورصد الإمكانيات المادية والبشرية لذلك، من خلال خطة واضحة المعالم تسير حسب أهداف واضحة بعيداً عن الارتجال والتخبط، إذا لا يكفي ما هو قائم الآن لسد هذه الثغرة، على أهمية ما تقوم به تلك المراكز والمؤسسات.

- تفعيل دور مكتب تنسيق التعريب، ومنع إصدار أي مؤلف إذا لم يكن خاضعاً لمراجعة متخصصين تابعين للمكتب، لنتجنب فوضى المصطلحات، وسد باب ذريعة التفلت من الفصحى والارتماء في أحضان اللغات الأجنبية.

- توفر الإرادة السياسية المؤثرة في القرارات السياسية والخطط الحكومية، من أجل تحويل التمنيات والطموحات إلى وقائع ملموسة، والاستعداد لطول النفس والصبر ، وأن يصاحب ذلك حملات توعية ومؤازرة شعبية تدعم وتناصر وتدافع عن تلك السياسات.

- تقديم كتب التراث بلغة مبسطة وبالاعتماد على التقنيات الحديثة.

تجارب بعض الدول فى الحفاظ على الهوية من خلال اللغة الأم

كوريا :أدركت كوريا الجنوبية مكانة اللغة الأم، وعلاقتها بالهوية، خاصة بعد الاحتلال الياباني، الذي عمد إلى طمس الهوية، عبر فرض اللغة اليابانية، لتدرَّس في المدارس الكورية، عام ١٩٣١م؛ لذلك عمد الكوريون فور تحررهم، بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، إلى الاهتمام المضاعف باللغة الكورية، مدركين أن استلاب اللغة يعادل ضياع الهوية كما أدركوا أن الحفاظ على اللغة، ليس مجرد شعار، فبادروا إلى الحفاظ على لغتهم، عبر الاهتمام بالمدرسة، والمعلم، والكتاب، والمكتبة قدّروا المعلم معنوياً ومادياً، حتى أن راتب المعلم في مرحلة التدريس للطفولة المبكرة، لا يقل عن ألفين وثلاثمائة دولار شهرياً ولا يسمح له بتعليم دروس خصوصية؛ وإلاّ فقد عمله إلى الأبد ويشترط فيمن يتخصص في تعليم اللغة للأطفال، اجتياز امتحان قدرات لغوية، شعراً ونثراً شفهياً وتحريرياً.

اهتموا بشكل الكتاب الخارجي، بالإضافة إلى الرسوم التوضيحية الجذابة من الداخل أما لغة الكتاب فمتناسبة مع عمر الطفل ، من حيث التراكيب والألفاظ وطريقة التقديم استخدم الكوريون تقنيات تربوية غير تقليدية، تعتمد على الحوار،وكتابة التعبير والقصة،وتستعين بالفنون المتنوعة، مثل المسرح، والتمثيل، كما تستعين بالمسابقات، والرّحلات العلمية والترفيهية، وتدرب الأطفال على استخدام الحاسب.

وأولوا أهمية خاصة للقنوات التلفزيونية، فخصّصوا خمس قنوات منها للأطفال، كما خصص في القنوات الأخرى وقت محدّد لبرامج الأطفال، وكلّها تبث باللغة الكورية الفصحى واهتموا بالتأليف والترجمة للطفل، حتى أن ما يؤلّف ويترجم في جميع فروع المعرفة، يخصّ الطفل منه ٣٧% ومن أجمل ما سمعت حول سبل تشجيع الأطفال على القراءة؛ اعتبار قراءة الكتب مجاناً، في المكتبات العامة والخاصة، حقًّا للأطفال على مجتمعهم أنشأوا ركناً خاصاً بالأطفال، مجهزاً بمقاعد ومكاتب، حيث يتاح لهم قراءة ما يشاؤون، دون أي إزعاج من صاحب المكتبة أما عن اللغة الأجنبية، وهي الإنجليزية، فهي تدرَّس من الصف الثالث الابتدائي، حتى مراحل الدراسة كافة، كمادة إجبارية وفي الثانوية العامة، يتمكن الطالب من اختيار لغة أخرى .

التجربة الصينية: آمن الشعب الصيني بأن الشعر هو فنّ اللغة، الأمر الذي جعل تجربتهم تعتمد بشكل أساس على تعليم الشعر، طريقاً للحفاظ على هوية الأمة، لأن الشعر يعبِّر عند الصينيين عن عزيمة الشعب، وعن الأمل وطالما شكّل الشعر القديم عموداً أساسياً في الثقافة التقليدية الصينية، حتى أن كتابة الشعر شكّلت ميزة للمواطنين الصينيين، وسبباً لاختيارهم للوظيفة الحكومية.

يبدأ الطفل تعلم الشعر منذ الطفولة المبكرة، ومع تعلم أحرفه الأولى، يمكنه حفظ ما يزيد على مائة قصيدة، كما يؤكد الصينيون؛ لأن الذاكرة قبل سن الثالثة عشرة تكون أقوى وفى مرحلة الشباب، تحرص الصين على رفع أهمية تعليم الثقافة القومية،من خلال المدارس والجامعات فتعنى كل مدرسة، ليس فقط بتعليم اللغة الأم، بل بإتقانها أيضاً وهناك معاهد أسست خصيصاً داخل الجامعات من أجل ترسيخ الثقافة القومية.

تجربة فرنسا: صادق برلمان الثورة الفرنسية قبل قرنين على قانون صارم لتعميم اللغة الفرنسية تضمن مادة نصت على أن كل من يخالف هذا القانون ابتداء من وقتها ويحرر وثيقة بغير الفرنسية ،يطرد من الوظيفة ويسجن ستة أشهر فالمُشَرّع الفرنسي تدخل فور الإحساس بالخطر لسن قوانين تحفظ للغة الفرنسية مكانتها ومن أهمها قانون لزوم الفرنسية الذي صدر عام ١٩٩٤ ونص على ما يلي:-

١] منع أي مواطن من استخدام ألفاظ أو عبارات أجنبية ما دامت هناك ألفاظ أو عبارات مماثلة وضرورة إصدار أي منشورات باللغة الفرنسية وكذلك الوثائق والمستندات والإعلانات المسموعة أو المرئية المعروضة على الجمهور وكافة مُكَاتبات الشركات على الأراضي الفرنسية ، حتى وإن كانت أجنبية كذلك شمل القانون كل المحلات التجارية والأفلام الدعائية التي تبث عبر الإذاعة والتلفاز.

٢] إلزام كل مشارك فرنسي في أي مؤتمر بالتحدث باللغة الفرنسية وطبع الأوراق باللغة الفرنسية .

٣] أما بالنسبة للمؤتمرات الأجنبية في فرنسا فيُطالب الباحثون الأجانب أيضا بنشر الأبحاث باللغة الفرنسية.

٤] لا يجوز تمويل المؤتمرات التي لا تعتمد اللغة الفرنسية لغتها الأساسية.

٥] أي مطبوعات و مسابقات ومنشورات لابد أن تكون باللغة الفرنسية.

أمَّا تجربة إنعاش اللغة الفرنسية في العصر الحديث فقد تَمَّ التخطيط لها بعد التغييرات السياسية التي حدثت في العالم في القرن العشرين بعد الحربَيْن العالميتَيْن، والتي تراجعَتْ بمُقتَضاها مكانةُ الإمبراطورية الفرنسية لصالح القوَّة الأمريكية ، وأصبح نفوذ اللغة الفرنسية الذي كان سائدًا في كثيرٍ من أرجاء العالم مُهَدَّدًا بالانحِسار، فتشكَّلت في النِّصف الثاني من القرن العشرين الرابطة الفرانكفونية من الدُّوَل التي تتحدث الفرنسية، وشكلت مؤسسات علمية ترعى اللغة الفرنسية في العالم، وتُتابِع المتكَلِّمين بها، وتبحث عمَّا يعتَرِضهم من مشاكل في سبيل المُحافَظة على لغتهم الأصلية أو المُكتَسَبة، وتعقد مؤتمرات تعليمية وثقافية وعلمية باللغة الفرنسية في مختلف البلدان، وترصد استخدام وسائل الإعلام لها، لتُقدِّم التوصيات وأحيانًا الأوامر بعدم شيوع الأخطاء أو المستويات الهابطة في اللغة.

وتضمُّ هذه المؤسسة الفرانكفونية في عضويَّتها كثيرًا من الرؤساء وكِبَار المسؤولين والوُزَراء في الدُّوَل الناطِقة بالفرنسية، ومن خِلالها يَتِمُّ تَنسِيق جهودهم جميعًا لحماية اللغة الفرنسية، والعمل على المَزِيد من الانتِشار والصحَّة والحيويَّة لها.

الاتحاد الأوروبى: يبدأ تعليم اللغات الأجنبية في الاتحاد الأوروبي في بداية المرحلة الثانوية غالباً.

أستراليا: في أستراليا كانت السياسة المتبعة منذ عام ١٧٨٨م أي منذ القرن الثامن عشر حتى السنوات الأخيرة أن على المهاجرين إلى أستراليا أن يتعلموا اللغة الإنجليزية ويتركوا لغاتهم الأصلية، ومنذ نهاية القرن العشرين أعادت أستراليا النظر في سياساتها اللغوية وسمحت بتدريس اللغة الأجنبية، ومنذ عام ٢٠٠٠م دخلت عدة لغات أجنبية إلى المرحلة الثانوية وبينت إحدى الإحصائيات أن أكثر عشر لغات تم اختيارها من قبل الطلاب في المرحلة الثانوية مرتبة تنازلياً هي:اليابانية، الفرنسية،الألمانية،الصينية، الاندونيسية، الإيطالية، اليونانية، الفيتنامية، الأسبانية، والعربية.

أمريكا: في أمريكا معظم المدارس في نظام التعليم في الولايات المتحدة تدرس اللغة الأجنبية في المرحلة الثانوية، وفي بعض المدارس تدرس اللغة الأجنبية في المرحلة المتوسطة (الاعدادية) وكشفت إحصائية أجراها مركز اللغات التطبيقي في عام ٢٠٠٩م أن اللغة الأسبانية هي أكثر اللغات الأجنبية انتشاراً في مدارس الولايات المتحدة بسبب تزايد أعداد المهاجرين الأسبان وللطالب الحق في اختيار لغة ثانية يدرسها إلى جانب اللغة الرسمية وله الحق ان يرفض دراسة اي لغة ثانية يعني أنها غير اجبارية.

الفلبين :تراجعت الفلبين عن التعليم ثنائي اللغة بعد ٣٧ عاماً من تطبيقه جاء ذلك في مقال نشر يوم ٢٢ يونيو من عام ٢٠١٠م بعنوان لغة الأم مفتاح النجاح العالمي لماذا تأخرنا؟ بقلم فيليب توبيزا يقول البروفسور دينا أوكامبو أستاذ التربية في جامعة الفلبين في المقال المذكور آنفا لقد أشار عدد كبير من الدراسات الدولية في أنحاء العالم أن تدريس الأطفال بلغة الأم يحسن تدريس اللغة الإنجليزية كما يحسن تدريس المواد الدراسية الأخرى فيما بعد فالأطفال يتعلمون أحسن إذا كانت لغة التدريس هي اللغة التي يستعملونها في حياتهم اليومية وفي بيوتهم، ويرى أن البناء التعليمي يشبه بناء الهرم، فأنت بحاجة إلى قاعدة قوية حتى تتحمل ما يبنى عليها لذا ينبغي أن يكون التعليم الأساسي قوي حتى يستطيع الطالب أن يتعلم أشياء جديدة وقد تراجعت وزارة التربية والتعليم في الفلبين بعد (٣٧) سنة كانت تطبق فيها سياسة التعليم ثنائي اللغة حيث كانت المواد الدراسية تدرس باللغة الإنجليزية عدا لغة الأم .

التجربة اليهودية: قبل قيام إسرائيل كان يهود الشتات يتكلم كل جماعة منهم بلغة الدولة التي يعيش فيها ويعتبرها لغته حتى أدرك المفكرون اليهود أنه ما من حضارة بدون لغة ولكي يحيون حضارتهم لا بد من إحياء لغتهم أولا وبدأت الجماعات اليهودية في نشر اللغة العبرية وسط اليهود بل أجبروا عائلاتهم وأطفالهم أن يتكلموا بالعبرية داخل المنازل وبعد نجاحهم في تكوين كيانهم فالجامعات في إسرائيل لغتها الأولى هي العبرية حتى في الأقسام التخصصية الدقيقة مثل الطب وهنا أستعيد عبارة مفكر يهودي قال إليعازر بن يهودا لا حياة لأمة دون لغة! وبدأ تنفيذ مشروع استمر ٥٠ عاماً تحولت العبرية خلاله من لغة دينية ميتة إلي لغة تدرس من الروضة حتى الدكتوراه في علوم الفضاء، فنجت اللغة وتجسدت الأمة.

وعملت إسرائيل على إحياء العبرية رغم أنها لغة ميتة فكثير من مواطني إسرائيل كانوا مهاجرين من بلاد مختلفة ولا يعرف أكثرهم غير لغة هذه البلاد ففرض عليهم تعلم العبرية وأصبحت هي اللغة القومية الوطنية المتعامل بها في شتى الميادين ولم تكتف بهذا فقط بل فرضتها على العمال العرب في المحافل اليهودية وإسرائيل هذه عملت على فرض العبرية على الصعيد العالمي عن طريق القيام بنهضة علمية قوية حرصت فيها على تقديم أبحاث على أعلى المستويات كما حرصت على عمل مؤتمرات لجذب الباحثين لإسرائيل وإرسال باحثيها للخارج للإطلاع على أحدث الأبحاث.

التجربة البريطانية: وفي بريطانيا أجري لأول مرة تجريب مشروع التدريس للغة الأجنبية في المدارس الابتدائية عام ١٩٦٤م عندما مولت الحكومة البريطانية مشروعاً لتدريس اللغة الفرنسية في المرحلة الابتدائية لمدة عشر سنوات من ١٩٦٤ – ١٩٧٤م في ٣٥% من مدارس إنجلترا وويلز، ووافقت المدارس المشاركة في التجربة على تدريس اللغة الفرنسية من سن ٨ سنوات إلى سنة ١٣ سنة (أي من الصف الرابع ابتدائي إلى الصف الأول الاعدادى) وقد قامت المؤسسة الوطنية لبحوث التربية بتمويل دراسة طويلة عبر السنوات العشر ١٩٦٤-١٩٧٤م لقياس اتجاهات الطلاب وأدائهم بقيادة بيرستول كشفت أنه لا يوجد فوارق ذات دلالات إحصائية بين أداء التلاميذ الذين درسوا الفرنسية من سن الثامنة

والتلاميذ الذين بدأوا بدراسة الفرنسية في المرحلة الثانوية لذلك أوصى الباحث أنه لا فائدة من توسيع المشروع أو استمراره وبناء عليه أعلنت الوزارة فشل المشروع وأسدل الستار على تعليم اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية.

وقد ذكر كيرش نقلاً عن دراسة دريسكول أن الوقت المخصص لتدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية في بريطانيا لا يتجاوز ٣٠ دقيقة في الأسبوع، وأن عدد المدارس التي يدرس جميع طلابها لغة أجنبية لا يتجاوز ٣% من مجموع المدارس الابتدائية في البلاد .

وفي اسكتلندا :مولت حكومة الإقليم مشروعا لتدريس اللغة الفرنسية في فترة الستينات من المرحلة الابتدائية العليا واعتبر المشروع غير ناجح وفشل المشروع كما حدث في انجلترا وويلز .

كندا:تطبق أغلب المدارس تدريس اللغتين الفرنسية والإنجليزية حسب اللغة الام لكن ليس فى سن مبكرة.

روسيا: في روسيا مثل الصين لكل قومية لغتها الخاصة غير ان الروسية اجبارية وللطالب دراسة الإنجليزية في مرحلة المتوسط والثانوي لكنها غير الزامية لقلق من تعلم اللغات الأجنبية هو الشعور بعدم الارتياح، والتوتر، والعصبية، والرهبة الذي يعاني منه غير الناطقين باللغة أو الذين يستخدمون لغة ثانية أو أجنبية وقد تنبع هذه المشاعر من أي لغة ثانية سواء ارتبطت بالمهارات الإنتاجية التحدث والكتابة،أو مهارات الاستقبال مثل القراءة والاستماع.

تجربة عربية

بعد أن أوفد محمد علي البعثات العلمية إلى بلاد أوربا عامة وإلى فرنسا خاصة ، إذ كان الموفدون من طلاب الأزهر الشريف ، وكانت لهم دراية بعلوم اللغة العربية بعد أن أمضوا سنواتهم الأولى وتعلموا اللغات الأوربية حتى وافتهم تعليمات من محمد علي بالعمل على ترجمة الكتب التي يدرسوها أولاً بأول وبإرسال الترجمات لمصر كما وزعت تعليمات تشابه ذلك على ضباط الجيش تطلب منهم حث طلاب السنة الثالثة من المدارس الحربية على ترجمة الأشياء المفيدة من اللغة الفرنسية إلى العربية حتى إذا عاد الطلاب إلى مصر ، لم ينتظر محمد علي حتى يصلوا لمقابلته في العاصمة بل كان يصدر إليهم الأوامر بترجمة بعض الكتب في الفترة التي كان عليهم أن يقضوها في الحجر الصحي ويروي المؤرخون أنه لما عاد أعضاء بعثة عام ١٨٢٦ استقبلهم محمد علي في ديوانه في القلعة وأعطى كل واحد منهم كتاباً فرنسياً في المادة التي درسها في أوروبا، وطلب منه أن يترجم ذلك الكتاب إلى اللغة العربية وأمر بحجزهم في القلعة وألا يؤذن لأحد منهم بمغادرة القلعة حتى يترجم ما عُهد إليه بترجمته بل أن هؤلاء الوافدين لا يلحقون بالوظائف الحكومية ما لم ينجزوا ترجمة ما يطلب منهم مما هو لازم للمدارس الملكية ومحتاج إليه في المكاتبات السلطانية.

نستخلص من هذه التجربة:-

[أ] كم الترجمات التي يمكن أن يتوفر من جميع اللغات إذا فرض هذا على الوافدين فعلاً ودوره في تدعيم التعريب .

[ب] سهولة تعريب العلوم إذا ما توافرت مثل هذه الكتب.

[ت] الدعم الحكومي التشريعي لأي إنجاز.

[ث] دور الوافدين الخطير في دعم التعريب ونقل الخبرات والذي لا يحسن استغلاله حالياً.

[ج] ربط المبعوث للبلد الأجنبي وهو مقيم بالخارج ببلده وبقائه في ركابها يدرك حقها وينفذ ما يكلف به من أعمال وبمقارنة ذلك مع الوضع الحالي لوجدنا العكس تماماً.

أهم المصادر والمراجع

١) التعلم المعرفي - حسين محمد أبو رياش .

٢) تطوير التعليم العالي والبحث العلمي - المنجي أبو سنينة .

٣) الطفولة المبكرة والجديد في رياض الأطفال- ملكة أبيض.

٤) اعداد وتأهيل المعلمات- نور الحق عبد الرحمن أزرق .

٥) الرعاية المتكاملة للأطفال- كريمان بدير .

٦) تنمية المفاهيم العلمية لطفل الروضة -حافظ بطرس بطرس.

٧) برامج تربية أطفال ما قبل المدرسة - سعدية محمد علي بهادر.

٨) منهج الانشطة في رياض الأطفال- ناهد فهمي حطيبة.

٩) أثر تعلم لغة أجنبية في تعلم اللغة القومية العربية - فاروق فؤاد حنا.

١٠) أثر تدريس اللغة الإنجليزية في التعليم الأساسى - نجلاء حسن الذوادي .

١١) التعليم ما قبل المدرسة- ناديا السرور.

١٢) التعلم المستند إلى الدماغ - ناديا سميح السلطي.

١٣) التعليم الأجنبي في مرحلة تعليم الاساس وبعض قضايا مجتمعنا المعاصرعلي السيد الشخيبي.

١٤) النمو العقلي بين ابن طفيل وجان بياجيه- بشير طه الزبير .

١٥) الاتجاهات العالمية المعاصرة في القيادة التربوية - محمد احمد الغنام.

١٦) معايير ونظم الجودة في مؤسسات التعليم - محمود أحمد وآخرون .

١٧) خصائص اللغة العربية-محمد إبراهيم الجيوشي.

١٨) تعزيز الهوية والانتماء لدى أطفال وشباب العرب - محمد عبده الزغير.

١٩) أطفالنا والانتماء للهوية في عصر العولمة -السيد نجم .

٢٠)المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية -علي بن نايف الشحود.

٢١) بعض المؤشرات للحفاظ على الهوية - سليمان بن عبد الله العقيل.

٢٢) العلاقة بين اللغة والهوية -فيصل الحفيان.

٢٣) دور منهج اللّغة العربية في الحفاظ على الهوية العربية ومواجهة تحديات العولمة -عبد الله بن مسلم الهاشمي.

٢٤) المعالجة الآلية للغة العربية- سلوى حمادة .

٢٥) الفرنكو آراب مخطط أمريكي للقضاء علي اللغة العربية -سلوى حمادة .

٢٦) التعليم والهوية -سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل.

٢٧) قراءة في كتاب اللغة والهوية -عدنان عباس سلطان.

٢٨) اللغة والهوية - أحمد مختار عمر.

٢٩) اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة - كارم السيد غنيم.

٣٠) محاضرات في علم اللغة الحديث -أحمد مختار عمر .

٣١)اتجاهات في تصميم المنهج / دايفد ويلكز ؛ ترجمة محمود إسماعيل الصيني ؛ اسحق محمد الأمين.

٣٢)أساسيات المنهج وتنظيمه - د محمد عزت عبد الموجود و د فتحي يونس و د محمود الناقة و د علي مدكور.

٣٣)أساسيات النحو العربي لغير العرب / علي فودة النيل .

٣٤)أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية-د فتحي يونس و د محمود الناقة ود علي مدكور.

٣٥)أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية د عبد الحميد عبد الله و د ناصر الغالي.

٣٦)الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها - رشدي أحمد طعيمة .

٣٧)أسس تحليل وتقويم كتب تعليم العربية لغير الناطقين بها - رشدي أحمد طعيمة.

٣٨)إعداد المواد التعليمية لتدريس اللغات الأجنبية : بعض الأسس العامة - عمر محمد التومي الشيباني .

٣٩)إعداد المواد التعليمية لتدريس اللغات الأجنبية : بعض الأسس العامة - محمود إسماعيل الصيني .

٤٠)إعداد وتأليف الكتب والمواد التعليمية لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها -حميد مخلف الهيتي .

٤١)برامج تعليم العربية للمسلمين الناطقين بلغات أخرى في ضوء دوافعهم د محمود الناقة.

٤٢) تبسيط قواعد النحو العربي للمبتدئين الأجانب - سالم بسيوني.

٤٣)حول تدريبات الاتصال / مختار الطاهر حسين .

٤٤) العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة الثانية محمد على الخولي .

٤٥) تعليم اللغة الأجنبية بالمرحلة الابتدائية : الإيجابيات و السلبيات حمد الرشيد .

٤٦) حول تعليم لغة أجنبية في الطفولة المبكرة- محمد محمود رضوان .

الفهرس